تُعنى بالشعر
والأدب العربي

القوافي

مجلة شهرية تصدر عن دائرة الثقافة بالشارقة
السنة السابعة - العدد (70) - يونيو 2025

أثر الأسرة
في التجربة الشعرية

ليلى الأخيلية
شاعرة الرثاء والفروسية

القصيدة.. وحدة
موضوعية وعضوية

النسر
إشارات المدح
والفخر في
القصيدة

كتابة الشعر
بين السهولة والصعوبة

القصيدة.. وحدة موضوعية وعضوية

شكلت المعلّقات جزءاً شعرياً عظيماً وأساسياً من ديوان العرب، تلك التي ظلت حتى هذه اللحظة عنوان سيرتنا الشعرية، ومرجعاً يعود له القارئ والباحث والمتتبّع لتلك السيرة الشعرية في كل زمان ومكان.

واحدة من أشهر تلك المعلّقات كانت لامرئ القيس، ونضيء عليها في هذا العدد من «القوافي»، عبر إطلالة تناولت موضوع الوحدتين (الموضوعية والعضوية) فيها، لنضع أمام القارئ طرحاً جديداً لدراسة تلك المعلّقة، إذ تندرج الوحدتان برباط وشائجي واحد هو الذكرى، علماً أن الوحدة الموضوعية حجر الأساس الذي تنطلق منه الوحدة العضوية في المعلّقة.

كما نتطرّق في «آفاق»، إلى موضوع الكتابة الشعرية بين السهولة والصعوبة/ جدلية القدرة والعجز، لنقف عند تلك اللحظات التي تتعثر فيها الكتابة، حيث إن كثيراً من الشعراء العرب اشتكوا من عسر القول وتأبّيه، فاحتاج منهم ذلك إلى مراحل نقاهة كافية من أجل مواصلة الكتابة والحال الإبداعية، خاصة أن تلك الحال تسهم فيها بواعث كثيرة وأحوال متعددة بالنسبة للشعراء.

ونسافر في باب «مدن القصيدة» إلى مدينة المنامة البحرينية التي تزخر اليوم بكثير من الشعراء والقصائد الخالدة، وهي مدينة تميّزت بتنوّع إنساني متفرّد، وبوجود حركة إبداعية دائمة، كما أصبحت مقصداً للشعراء ومنبعاً لكثير من التجارب الفنية والإبداعية.

ونستضيف في هذا العدد الشاعر الليبي محمد المزوغي، في حوار خاص، تحدث خلاله عن تجربته الشعرية، وأكد أن القصيدة الخليلية/ البيتية قادرة على التماهي مع القضايا المعاصرة، وأنها اليوم تعيش أزهى عصورها. مشيداً بجهود الشارقة التي أصحبت عاملاً رئيساً في نهضة الشعر العربي في وقتنا الحالي.

وفي حوار آخر، يقول الشاعر السنغالي إبراهيم توري، إن بلده الإفريقي يشهد في الآونة الأخيرة صحوة شعرية عربية. ورأى أن «مهرجان الشارقة للشعر العربي» مرآة تتّسع لجميع الوجوه، وأن «جائزة القوافي الشعرية» فضاء واسع لاكتشاف المواهب الجديدة.

كما تحدث في «آراء» مجموعة من الشعراء عن دور الأسرة في العملية الإبداعية، وما الذي يمكنها أن تقدمه لابنها المبدع في سبيل مواصلة نجاحاته وإنجاز ما يطمح إليه. إذ اتفق معظمهم على أن الأسرة يمكن أن تؤدي دوراً نقدياً، وتقدم النصيحة وتشجّع ابنها على المضي قدماً في مشروعه الشعري خاصة والإبداعي عموماً.

أما قبل

وفي هذا العدد أيضاً نتيح المساحة لمجموعة من المقالات في موضوعات ثقافية وشعرية متنوعة، منها «التشكيل الجمالي في الشعر الأموي»، وآخرعن «النسر.. إشارات في المدح والفخر». كذلك مقالة عن الشاعرة ليلى الأخيلية، شاعرة الرثاء التي نافست كبار الشعراء، ولا تهاب مواجهة أيِّ شاعرٍ مهما بلغ شأنه الشعري.

وكما في كل عدد من «القوافي»، يجد القارئ باقة من القصائد الشعرية المتميزة، فضلاً عن قراءات نقدية في باب «استراحة الكتب».

إصدارات مجلة القوافي

ص.ب: 5119 الشارقة - الإمارات العربية المتحدة
الهاتف: 5683399 6 971+ البرّاق: 5683700 6 971+
البريد الإلكتروني: qawafi@sdc.gov.ae
الموقع الإلكتروني: www.sdc.gov.ae
poetryhouseshj

القوافي

مجلة شهرية تُعنى بالشعر والأدب العربي
تصدر عن دائرة الثقافة
العدد (70) - يونيو 2025

المنامة البحرينية 34
مدينة تزخر بالشعراء والقصائد

إطلالة — الوحدتان الموضوعية والعضوية في معلقة امرئ القيس — 08
آفاق — كتابة الشعر.. بين السهولة والصعوبة جدلية القدرة والعجز — 14
أول السطر — الشاعر محمد المزوغي: القصيدة الخليلية قادرة على التماهي مع القضايا المعاصرة — 24
مقال — التشكيل الجمالي في الشعر الأموي نقلة نوعية في الانزياح عن النمطية — 54
عصور — ليلى الأخيلية شاعرة الرثاء والفروسية — 60
دلالات — النسر في الشعر العربي إشارات في المدح والفخر — 68
تأويلات — مضر الألوسي.. يحاور الأنا والآخر في «كبر الصَغار» — 76
استراحة الكتب — جاسم محمد جاسم.. يحاول بريشة الشعر «الرسم على عباءة الريح» — 84
نوافذ — «ليس الجمال بمئزر» لـ عَمْرو بن معدّ يكرب وثيقة شعرية وانسانيّة خالدة — 88

- المواد المنشورة في المجلة تعبر عن كاتبيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي دائرة الثقافة.
- ترتيب المواد و الأسماء في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تقبل المواد المنشورة أو المقدمة لدوريات أخرى.
- أصول المواد المرسلة للمجلة لا ترد لأصحابها نشرت أو لم تنشر.
- تتولى المجلة إبلاغ كتّاب المواد المرسلة بتسلّمها، وبقرارها حول صلاحيتها للنشر أو عدمها.

شعراء العدد:

18 سعود سليمان اليوسف
19 مؤيّد نجرس
20 بدرية البدري
21 خالد الحسن
22 حكم حمدان
42 طلال الجنيبي
43 ياسين محمد البكالي
44 مصعب علي اشكر
45 حسن إدريس
64 علي وهبي دهيني
65 محمود بلال
66 محمد المختار أحمد
67 إسماعيل الحسيني
80 مرام دريد النسر
82 زيد صالح
83 عبدالله أبو بكر
92 منتظر الموسوي
94 مطلق الحبردي
95 محمد جميل
96 أحمد الحطّاب
97 زكريا مصطفى

رئيس دائرة الثقافة
عبدالله بن محمد العويس

مدير إدارة الشؤون الثقافية
محمد إبراهيم القصير

مدير التحرير
محمد عبدالله البريكي

هيئة التحرير
عبدالرزاق الربيعي
د. حنين عمر
عبدالعزيز الهمامي

المتابعة والتنسيق
نورة الخاجة

التصميم والإخراج
محمد سمير

التدقيق اللغوي
فواز الشعّار

التصوير
إبراهيم خليل

التوزيع والإعلانات
خالد صديق

الأسعار:

الإمارات: 10 دراهم	البحرين: دينار	الأردن: ديناران
السعودية: 10 ريالات	مصر: 10 جنيهات	المغرب: 15 درهماً
عُمان: ريال	السودان: 500 جنيه	تونس: 4 دنانير

وكلاء التوزيع:

- الإمارات: شركة توصيل للتوزيع والخدمات اللوجستية – 800829733535
- السعودية: شركة تمام العالمية المحدودة – الرياض – 8001240261
- سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع – مسقط – 96824491399+
- البحرين: مؤسسة الأيام للنشر – المنامة – 97317617734+
- مصر: مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع – القاهرة – 20227704213+
- الأردن: وكالة التوزيع الأردنية – عمان – 96265300170+
- المغرب: سوشبرس للتوزيع – الدار البيضاء – 212522589913+
- تونس: الشركة التونسية للصحافة – تونس – 21671322499+
- السودان: دار الراوي للنشر والتوزيع – الخرطوم – 249123987321+

عناوين المجلة
الإمارات العربية المتحدة، حكومة الشارقة
دائرة الثقافة
ص.ب: 5119، الشارقة
هاتف: 97165683399+
براق: 97165683700+
Email: qawafi@sdc.gov.ae
poetryhouse@sdc.gov.ae
www.sdc.gov.ae

ضنيت من الهوى وشقيت منه

بهاء الدين زهير
العصر المملوكي

بِـروحـي مَـن تَـذوبُ عَـلَـيـهِ روحـي
وذُقْ يـا قَـلْـبُ مـا صَـنَـعَـت يَـداكـا
لَـعَـمْـري كُـنْـتَ عَـن هَـذا غَـنِـيّـاً
ولَـمْ تَـعـرِفْ ضَـلالَـكَ مِـنْ هُـداكـا
ضَـنـيـتُ مِـنَ الـهَـوى وَشَـقـيـتُ مِـنـهُ
وأَنـتَ تُـجـيـبُ كُـلَّ هَـوىً دَعـاكـا
فَـدَعْ يـا قَـلْـبُ مـا قَـدْ كُـنـتَ فيهِ
أَلَـسْـتَ تَـرى حَـبـيـبَـكَ قَـدْ جَـفـاكـا
لَـقَـد بَـلَـغَـت بِـهِ روحـي الـتَـراقـي
وقَـدْ نَـظَـرَت بِـهِ عَـيْـنـي الـهَـلاكـا
فَـيـا مَـنْ غـابَ عَـنّـي وهـوَ روحـي
وكَـيْـفَ أُطـيـقُ مِـن روحـي انْـفِـكـاكـا
حَـبـيـبـي كَـيْـفَ حَـتّـى غِـبـتَ عَـنّـي
أَتَـعـلَـمُ أَنَّ لـي أَحَـداً سِـواكـا
أَراكَ هَـجَـرْتَـنـي هَـجْـراً طَـويـلاً
ومـا عَـوَّدتَـنـي مِـنْ قَـبـلُ ذاكـا

تندرج برباط وشائجي واحد هو الذكرى

الوحدتان الموضوعية والعضوية

في معلقة امرئ القيس

قراءة جديدة للقصيدة النموذج

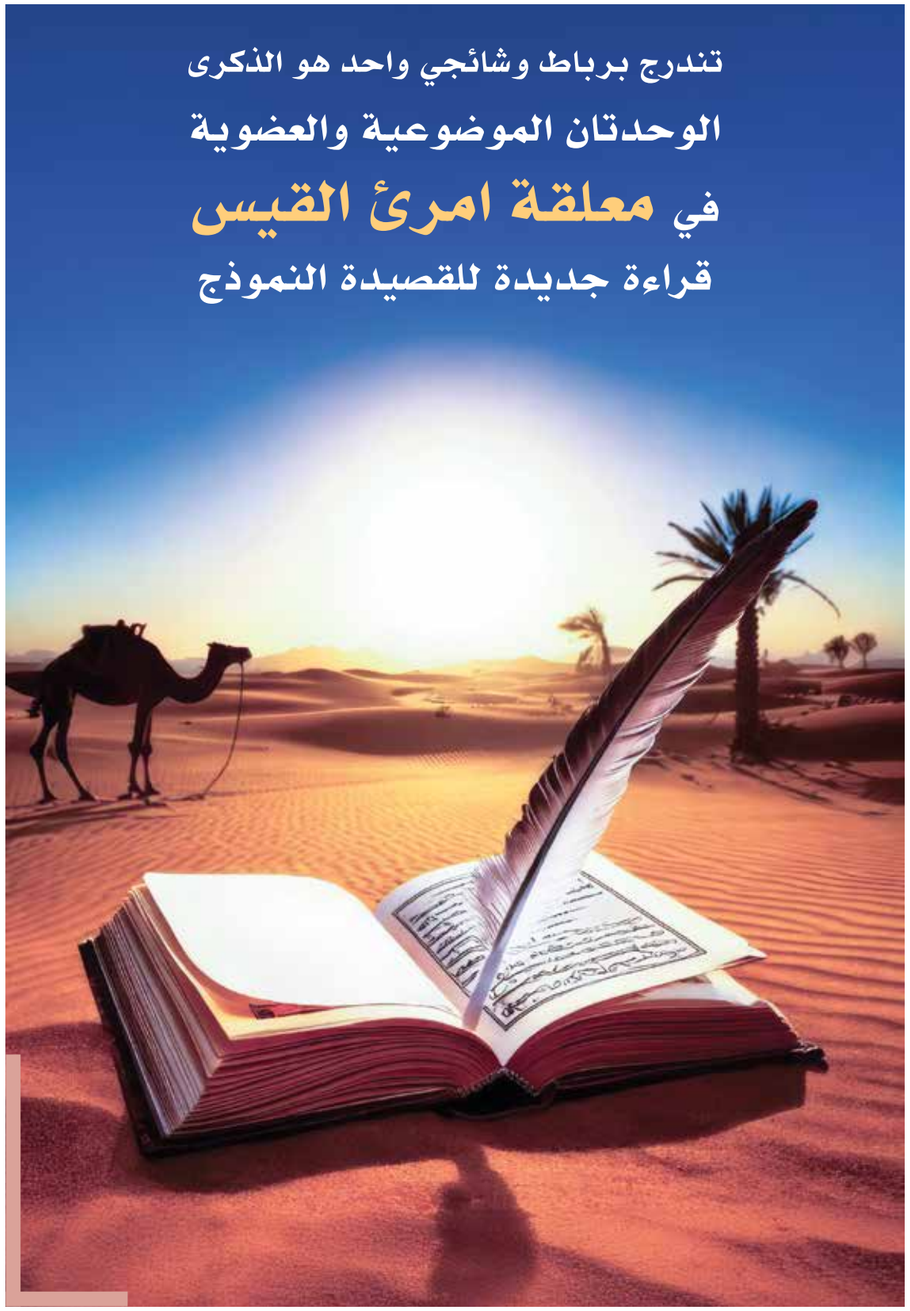

د. محمد عيسى الحوراني
الأردن

كثــر الحديث في الآونة الأخيرة عن الوحدتيــن العضوية والموضوعية في القصيــدة العربية القديمة، واختلف النقاد في تفصيل ذلك، بين من يرى أن شــعرنا القديم يخلو منهما، ومن يرى أنهما موجودتان ولكن بنسب متفاوته، وهناك من اتخذ موقفا وســطاً. ونظراً للمكانة التــي تحظى بها معلّقة امرئ القيس قديماً وحديثاً، وللتقاليد الراسخة التي أثبتت صمودها وجاذبيتها على مرّ العصور، وكثرة ما قيل عن افتقارها إلى الوحدتين العضوية والموضوعية، ومــا إذا كان ذلــك مطلبــاً محكومــاً بالعصر، الذي يــرى كثُر أنــه افتقر إلى الوحدتيــن، واســتثنوا من ذلك قصائد الرثاء؛ نظــراً لكل ذلك جاءت هــذه المقاربة في محاولة لجــلاء الموقف، وبيــان الأطر العامة للوحدتين فــي قصيدة تعدّ من أهم قصائد الشــعر العربي.

مفهوم الوحدتين الموضوعية والعضوية

تُعرف الوحدة الموضوعية فــي القصيدة بأنها تجمع الأفكار والمشــاعر والمعاني التي تتناولها القصيــدة عن موضوع معيّن. وتكون هذه العناصر المترابطة منســجمة بتكامل داخل القصيدة، مــا يجعلها تتميز بتكامل ووحدة موضوعيــة تصبح لديها قوة في التأثيــر في القارئ، وفهمه لمضمون القصيدة، وهي بذلك تنطلق من أن تكون القصيدة ذات موضوع واحد.

في حين تعددت الآراء عن مفهــوم الوحدة العضوية، وتصبّ جميعها في البناء الفني والهيكلي المتماســك، تشبيهاً لها بالجسد الواحــد يكمــل كل عضو فيــه دور الآخر، أو كالبنــاء الذي تدعم أجزاؤه بنيته الكلية، فإذا انتقض منه حجر ظهرت عيوبه وتصدّعت أركانه؛ وعلى ذلك تكون الوحدة العضوية في القصيدة ذات أهمية كبرى، فهي تعني ذلك الترابط والانســجام والتلاحم بين أبياتها، وترتبــط تلك الأبيات بمنظومــة تكاملية يصعــب انفصالها؛ ومن هنا تعدّ الوحدة الموضوعية حجر الأســاس الذي يمكن أن تنطلق منــه الوحدة العضوية، لذا اقترنــت الوحدتان في الدرس النقدي العربي.

والســؤال المطــروح بناء علــى المفهومين: هل اتّــكأ معمار القصيــدة الجاهلية على أي من الوحدتين؟ وهل اشــتملت معلقة امرئ القيس على أي منهما؟ وهل يعدّ عدم امتثال المعلقات لهذا المعيار مثلبة في عصرها أم براعة وقوة؟

الوحــدة الموضوعيــة حجــر الأســاس الــذي تنطلــق منــه الوحدة العضوية

معيار الوحدتين في العصر الجاهلي

يبــدو أن معمــار القصيــدة الجاهليــة عمومــاً اتســم بتنوع الموضوعــات وتعددها في القصيدة الواحــدة، ولعل الإجادة في ذلك، وحسن التخلص، من الأمور التي نُعت بها الشعراء المجيدون، وإن تم القياس على منظومة الأغراض الشعرية، ونظرية العصور الأدبية، ووحدة البيت لا وحدة القصيدة، فإن الشــعر القديم يكاد يخلو من الوحدتين اللتين تقتضي كل منهما الأخرى.

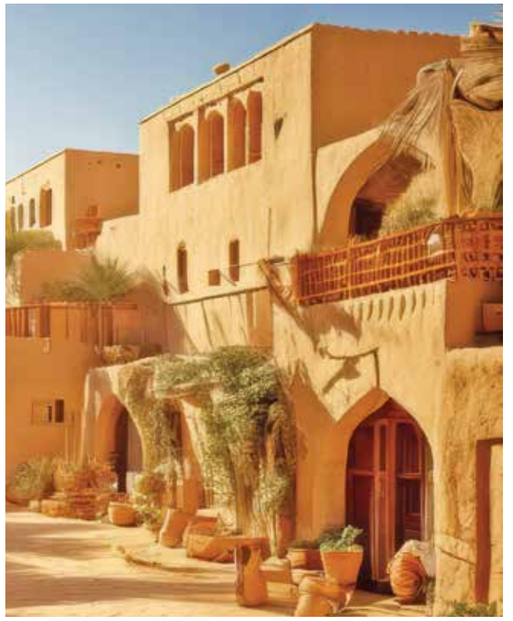

بيد أن دراسة جادة تنبع من إعادة النظر في الأغراض الشعرية، وقراءة النصوص وفق مفاتيح جديدة، تفتح لنا آفاقاً بالنظر إلى الوحدتين عبر الأساس التكويني الذي أمثله بساق الشجرة، وعبر تداعيات ذلك الأساس وأمثلها بالأغصان.

ويمكن لنا بذلك إعادة رسم ملامح الوحدتين في معلّقة امرئ القيس، التي تبدو في ظاهرها متعددة الأغراض، وكل غرض يصلح أن يقرأ مستقلاً، على ما يرى بعض الدارسين.

البنية الموضوعية في المعلّقة

ترتبط موضوعات المعلقة برباط وشائجي واحد وهو الذكرى، وهو ذلك الأساس الذي تنبثق عبره الموضوعات الأخرى، متفرعة عنه، ومستمدة كينوناتها منه، فعبرها تتثال مقاطع القصيدة، مشكلة بؤرة لعدد من التداعيات. ولمّا لم تكن الذكرى وفق تصنيف القدماء من أغراض الشعر المكافئة للموضوعات، كان الاعتقاد بتعدد موضوعات القصيدة وافتقارها إلى الوحدة الموضوعية. والواقع أن موضوعاً مؤسساً هو المكوّن الرئيس الذي ينتظم كل المكوّنات وهو موضوع «غرض» الذكرى، الذي تنطلق منه تداعيات القصيدة، ويربطها برباط موضوعي تتخلله وحدة الموضوع والوحدة العضوية التي تنبري بالخيط النفسي الذي يشكل تلك التداعيات: ويمكن تبويب القصيدة في الآتي:

معمار القصيدة الجاهلية اتّسم بتنوّع الموضوعات وتعدّدها

الوقوف على الأطلال: وهو مولد الذكريات، وموجب التداعيات النفسية، لتتثال لواعج الزمن بأحداثه وصوره، راسمة منظومة من اللوحات، وهو يصرح بذلك في مطلع القصيدة عندما يطلب من صديقيه الافتراضيين أن يقفا على ذلك الطلل، للبكاء على تلك الذكريات التي تمثل عمره الذي انقضى، وحياته التي تبدّدت عبر الزمان والمكان:

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ
بِسَقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ
فَتُوْضِحَ فالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها
لِما نَسَجَتْها مِنْ جَنوبٍ وشَمْأَلِ
تَرى بَعَرَ الأرآمِ في عَرَصاتِها
وقِيْعانِها كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ

موقف الوداع: وهو جزء من الذكرى، وامتداد ل «قفا نبك» فالديار الخالية من الأحبة تقتضي تذكرهم، واستمرارية البكاء عليهم منذ لحظة الوداع، مع وجود الصاحبين كشاهدين يحاولان التخفيف من سطوة الحزن المبني على الفراق:

كَأَنِّي غَداةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا
لَدَى سَمُراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنْظَلِ
وُقُوْفاً بِها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيُّهُمْ
يَقُوْلُوْنَ لاَ تَهْلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ
وإِنَّ شِفائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ
فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

معلقة امرئ القيس تبدو في ظاهرها متعددة الأغراض

الغزل: وهو منوط بالذكريات أيضا، فيستذكر عدداً من النساء اللواتي كانت له ذكريات معهنّ، فيرسم مجموعة من اللوحات التي ترتسم في إطارها الأساس وهو الذكرى، وتكون قصصه مع كثير النساء، كأم الرباب، وأم الحويرث وعذارى دارة جلجل وعنيزة وفاطمة، فضلاً عن عدد اللواتي لم يصرح بأسمائهنّ كبيضة الخدر، وما كل ذلك إلّا محاولة استشفاء من الألم المفرط لعقده الذي انفرط ولم يعد سوى مجموعة من الذكريات:

كَدأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَها
وجارتِها أُمِّ الرَّبابِ بِمأْسَلِ
إِذا قامَتا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنهُما
نَسيمَ الصَّبا جاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ
ففاضَتْ دُموعُ العَيْنِ مِنِّي صَبابَةً
عَلى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمعِي مِحمَلِي
ألا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنهُنَّ صالِحٍ
ولا سِيَّما يَوْمٍ بِدارَةِ جُلجُلِ

وقوله ألا ربّ يوم يبين أن تلك اللقاءات وتلك الأحداث ما هي إلا جزء من الذكريات، ويؤكد ذلك بكلمة يوم في قوله:

ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ
فَقالَتْ لَكَ الوَيْلاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي
تَقولُ وقَدْ مالَ الغَبِيْطُ بِنا مَعاً
عَقَرْتَ بَعِيرِي يا امْرأَ القَيْسِ فَانْزِلِ

وتذكره لعنيزة وقصته معها، يجعل من فاطمة مرآة أخرى لتلك الذكريـات، وهي ذكرى لعلاقـة مختلفة يبدو بها عاشـقاً حقيقياً يبرّحه الحب على الرغم من كثرة علاقاته النسوية:

أفاطِـمَ مَهْـلاً بَعْـضَ هَـذا التَّدَلُّلِ
وإنْ كُنْتِ قَدْ أزْمَعتِ صَرْمِي فأَجْمِلِي
أغَـرَّكِ مِنِّـي أنَّ حُـبَّـكِ قاتِلِي
وأنَّـكِ مَهْمـا تَأْمُـرِي القَلْـبَ يَفْعَلِ
وإنْ تَـكُ قَدْ سـاءَتْكِ مِنِّـي خَلِيقَةٌ
فَسُـلِّي ثِيابِـي مِـنْ ثِيابِـكِ تَنْسُـلِ

وإذا كانـت فاطمة تمثـل المركز في علاقاتـه، فهو لا يفتأ أن يذكـر مغامراته الأخـرى، فينطلق إلـى الحديث عن تجارب وقصص تمثل نفسيته:

ترتبـط بخيط نفسـي متصل مبني على سلسلة من الذكريات

وبَيْضَـةِ خِـدْرٍ لا يُـرامُ خِباؤُهـا
تَمَتَّعْـتُ مِـنْ لَهْوٍ بِهـا غَيْـرَ مُعْجَلِ
تَجـاوَزْتُ أحْراسـاً إلَيْهـا ومَعْشَـراً
علـيَّ حِراصـاً لَـوْ يُسِـرُّونَ مَقْتَلِي

وصف الليل: وهو انثيال آخر من تداعي الذكريات، ولا سـيما أن ليلـه هـذا هو ليل الفاقـد المتألم، الذي يرى السـاعة دهراً، ويبحـث عن بصيص نور للخروج من الألم، مع أنه يدرك أن تقلّب الليل والنهار لن يعيدا زمنه الذي انقضى:

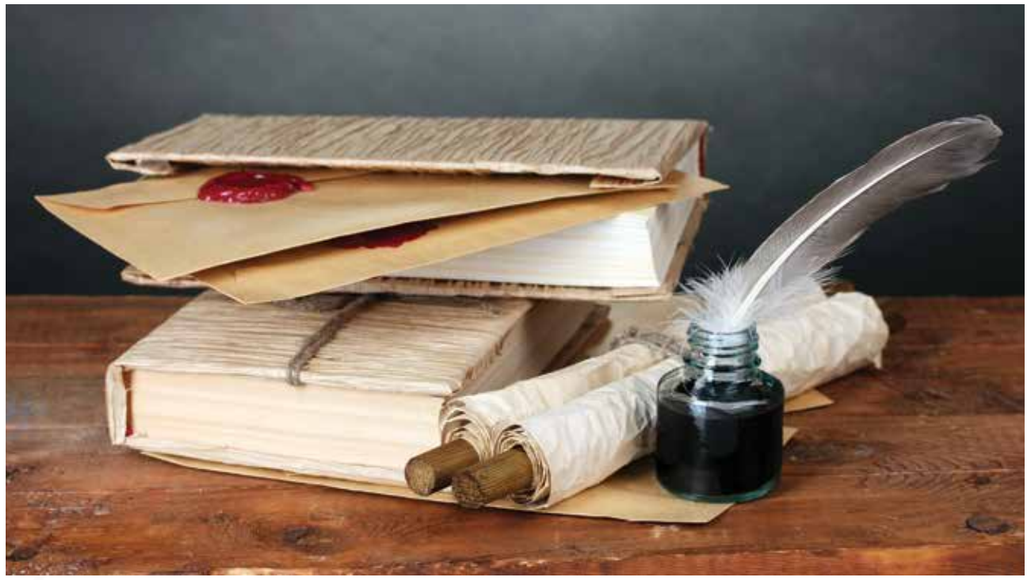

وَلَيْلٍ كَمَـوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُـدولَهُ
عَـلَـيَّ بِـأَنْـواعِ الـهُـمُـوْمِ لِيَبْتَلِي
فَقلْـتُ لَـهُ لمَّـا تَمَطَّـى بِصُلْبِـهِ
وأَرْدَفَ أَعْـجـازاً وَنـاءَ بِكَلْكَلِ
ألا أَيُّهـا اللَّيْـلُ الطَّويـلُ ألا انْجَلِي
بِصُبْـحٍ وما الإِصْبـاحُ مِنـكَ بِأَمْثَلِ
فَيـا لَـكَ مِـنْ لَيْـلٍ كَأَنَّ نُجُومَـهُ
بِأَمْـرَاسٍ كَتَّـانٍ إِلَـى صُـمِّ جَنْـدَلِ

وصـف الخيل مع رحلة الصيد وبعـض مظاهر الطبيعة: وهذه اللوحـة تتثال من شـريط الذكريات أيضاً، وتصبـح مما يعزي به الفاقد نفسـه، وكأنـه بوصفه لحصانه يسـتذكر قوته وشـجاعته ومقدرته على الصيد:

وقَـدْ أَغْتَـدِي والطَّيْرُ فِـي وُكُناتِها
بِمُـنْـجَـرِدٍ قَـيْـدِ الأَوابِـدِ هَيْكَلِ
مِـكَـرٍّ مِـفَـرٍّ مُـقْـبِـلٍ مُـدْبِـرٍ مَعاً
كَجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّـيْلُ مِنْ عَلِ
لَـهُ أَيْطَـلا ظَبْـيٍ وسـاقَا نَعامَـةٍ
وإِرْخَـاءُ سِـرْحانٍ وتَقْرِيـبُ تَتْفُلِ

ويعقب ذلك قصـص الطرد ووصف بعض حيوانات الصحراء، ووصف قدرتـه على اجتياز المفاوز والمهامـه، ومصاعب الحياة الصحراوية.

الشـعر القديم لا يكاد يخلو من الوحدتيـن اللتيـن تقتضي كل منهما الأخرى

لا بدّ من الإشارة ختاماً إل أن هذه المعلّقة ترتبط بخيط نفسي متصل مبني على سلسـلة مـن الذكريات التـي تنطلق من لحظة الوقـوف على الطلل، بما يحمله ذلك الوقوف من نظرات وجودية تسـتدعي الزمان الغابر، وكأن الشاعر يعيد البحث عن نفسه التي آلـت إلى الخراب؛ فالطلل هنا صورة لمُلك تهدّم، ونسـاء ابتعدن، وليل طويل، وحياة بائسة لا أمل بعودتها؛ إذ النهار ليس بأفضل من الليـل، وتأتي صورة الحصان والصيـد والمفاوز التي كان يقطعها تعويضاً لحالـة الفقد المر التي يعيشـها، ويربط كل ذلك برباط وشائجي متصل يؤكد أن إعادة قراءة المعلّقة وفق معطيات غرض الذكرى ينتظم القصيدة في وحدة موضوعية تتشـكل في خيوطها الوحدة العضوية.

وإذا كان النقـاد يرون أن الشـاعر يمتلك القدرة على حسـن التخلص بانتقاله من موضوع إلى آخر، فإن القراءة وفق موضوع واحد وهو الذكرى، يجعل الانتقال بين الموضوعات الأخرى مسرباً طبيعياً يسـتمد كينونته من الغرض الأم، ويصبح الانتقال مربوطاً بالموضوع ذاته، وموصولاً بجسـم القصيـدة في إطار الوحدتين الموضوعية والعضوية.

تسهم فيها بواعث كثيرة وأحوال متعددة

كتابة الشعر

بين السهولة والصعوبة
جدلية القدرة والعجز

قال ابن شُهيد لزهير بن نُمَيْر، دافعاً عن نفسه تهمة العجز، بعد أن أُرتِج عليه: «للكلام أحيان، وهذا شأن الإنسان»، ويمكن عدّ هذا الجواب قاعدة تؤطّر الإبداع البشري الذي تحكمه أحوال طارئة ومتحولة، فقد تأتي على الشاعر لحظات لا يستطيع فيها قول بيت واحد، وهو الذي اعتاد غزارة الإنتاج أنّى أراد، وفي المقابل يتأتّى له القول السهل سهواً رهواً، من دون استعداد مسبق.

د. سعيد بكّور
المغرب

كثيرا ما اشتكى كبار الشعراء من صعوبة القول وتأبّيه

هذه الصعوبة في استدعاء القول قد تصير استحالة في بعض الأحوال، وعلى هذا الأساس رأى النقاد أنه «لا بدّ للشاعر وإن كان فحلاً، حاذقاً، مُبَرَّزا، مُقدّماً، من فترة تَعْرض له في بعض الأوقات؛ إما لشُغل يسير، أو موت قريحة، أو نبو طبع في تلك الساعة، أو ذلك الحين» (العمدة، ج1، ص: 171)، فالشاعر شأنه شأن غيره قد تؤثر فيه أمور خارجية تسهم في نضوب قريحته بعد أن كانت متفجّرة، وينبو طبعه بعد أن كان فياضاً ينهمر، وهنا تكون الحالة النفسية أكبر معيق لقول الشعر، فضلاً عن أمور أخرى قد تشوّش على ذهنه، فتجعل الكلام يفرّ منه فراراً، ويعتسر عليه اعتساراً.

وقد يكون السبب عائداً إلى كثرة العمل، فتكون النتيجة معكوسة على صاحبها، حيث «تَكلُّ قريحته... وتَنزف مادته، وتَنْفَدُ معانيه» (العمدة ج1، ص: 206)، في هذه الحال يحتاج الشاعر إلى راحة تكون سبباً في استرجاع القدرة المعهودة.. «فإذا أَجِمَ طبعَه أياماً – وربما زمناً طويلاً- ثم صنع الشعر جاء بكل آبدة، وانهمر في كل قافية شاردة، وانفتح له من المعاني والألفاظ ما لو رامه

كثيراً ما اشتكى كبار الشعراء من عسر القول وتأبّيه، فها هو ذا الفرزدق، وهو فحلُ مُضَرَ، يعترف بحالة نضوب معين الإبداع، قائلاً: «تمرّ عليّ الساعة وقلع ضرس من أضراسي أهون عليّ من عمل بيت من الشعر» (العمدة، ج1). والفرزدق عندما يسوق هذا الاعتراف إنما يريد أن يشير إلى أن صعوبة الإبداع لا تختص بأنصاف الشعراء فحسب، بل تتعداهم إلى من هم أطول باعاً وأمدّ شعاعاً في مجال القول الشعري وهم الفحول، وإذا وضعنا اعترافه في سياقه التاريخي وفي نسقه الذي أنتجه، أدركنا الصعوبة التي كان يصادفها كبار الشعراء في كتابة القصيدة.

من قبل لاســتغلق عليه، وأبهم دونه» (المصدر الســابق)، ذلك أنّ النفس تــكلّ وتتعب فتحتاج إلى فترات نقاهة قد تقصر أو تطول، لتعود إلى نشــاطها وتباشــر لحظات الإبداع من جديد، وتنضاف إلى الراحة «المذاكرة مرة؛ فإنها تقدح زناد الخاطر، وتفجر عيون المعاني، وتوقد أبصار الفطنة، وبمطالعة الأشعار كرة، فإنها تبعث الجدة وتولد الشــهوة» (العمــدة، 1\171)، والقصيدة بحســب ما سبق انهمار وانفجار وولادة، تسهم فيها بواعث كثيرة تقدح شرارة الخلــق وتوقظ الدفيــن من المعاني، وتزيح رمــاد العجز، لتظهر جمرة الإبداع توّاقة للاشتعال.

يتيــح لنا تتبّع أخبار الشــعراء وأحوالهم فــي الإبداع أن نقف علــى صعوبة القول، ذلك أن عمل الشــعر «على الحاذق به أشــد من نقل الصخر» (المصدر السابق)، وهو كالبحر «أهون ما يكون علــى الجاهل أهــول ما يكون علــى العالم» (المصدر الســابق)، لا لشــيء إلا لأن الشــاعر الحقيقــي يعرف حجــم المعاناة التي يكابدهــا واللحظات العصيبة التي يمــر بها وهو يبحث عن معنى أو صورة أو عبارة شعرية مدهشة، فيكون نزع ضرس أو نقل صخر أهون عليه من قول بيت شعر.

الابتعاد لبعض الوقت يولد عند الشاعر طاقة ورغبة

تكــون الحالــة النفســية أكبر معيق لقول الشعر

لقــد كان النقــاد واعين بأهمّ حال نفســية يعيشــها المبدع «وهي حــال المعاناة أثناء الخلق، فهــي مرحلة المخاض التي يولــد إثرها النص» (مفهوم الأدبيــة، توفيق الزيدي، ص 54)، وفــي هــذه المرحلة يكــون المبدع في حال اضطــراب وقلق، وذهاب وجيئة، يتقلب يمنة ويســرة «فأحاسيســه وثقافته وحتى جســمه وأعصابــه، كلهــا فــي تفاعل مســتمر، يدعــو المعاني والألفاظ، فتأتيــه حيناً، وتمتنع أحياناً أخرى، هو المدّ والجزر، فيــه الكلام ســهل تارة وأخرى صلف تيّاه» (المصدر الســابق)، يصعّــر خدّه للمبدع ولا يعطيه قياده بســهولة، فالكلام لا يتأتّى دائماً لمن يريده، فله «أحيان، وهذا شــأن الإنســان» كما قال ابن شُــهَيْد (التوابع والزوابع، ص: 89)، وله «أَرَن كأرن المهر، وإبــاء كإباء الحَرون، وزَهْوٌ كزهو الملــك، وخفق كخفق البرق، وهو يتســهّل تارة ويتعسّــر مــراراً، ويذلّ طــوراً ويعز أطواراً» (الإمتاع والمؤانســة للتوحيدي، ج1، ص: 18)، والتوحيدي هنا إنمــا يريد لفت الانتباه إلى الحالات التي تعتري الشــاعر وهو يطلب بيتــاً أو قصيدة، وتأرجحه بين القدرة والعجز.

لم يكن الفرزدق وحده الذي يشتكى حال «حرن الكلام، ويقر ظاهرة الحضور والغياب أثناء الإبداع» (مفهوم الأدبية، ص: 54)، فالعجّــاج الرّاجز، وهو مــن هو يُقرّ بظاهرة الحضــور والغياب، والإقبــال والإدبــار، والمــدّ والجــزر، والذهاب والجيئــة، قائلاً: «لقد قلت أرجوزتي التي أولها:

بَكَيتُ والمُحْتَــزِنُ البَكيُّ
وإنّما يأتــي الصّبا الصبيّ
أطَرَبــاً وأنــت قِنَّسْــرِيّ
والدهرُ بالإنســان دَوَّارِيّ

وأنــا بالرمل في ليلة واحــدة، فانثالت علــيّ قوافيها انثيالاً، وإني لأريد اليوم دونها في الأيام الكثيرة، فما أقدر عليه» (البيان والتبيــن، ج1، ص: 209.)، ونضــوب الطبــع وكلال القريحــة قد لا يدوم أياماً فحســب، بل قد يصل إلى ســنين عــدّة، كما حصل للبحتري عندما «أجبل عشر سنين، فما كان يستطيع أن يقول شيئاً من الشعر» (الموشح، ص: 414)، وهو نفسه ما كان يحصل لجرير فيفقد صوابه «ويتمرّغ في الرمضاء» (العمدة، 1\206)، رغبة في أن تجود عليه شياطين الشعر بأبيات يروي بها ظمأه الشعري.

لقد كان الشــعراء والنقاد واعين بصعوبــة العملية الإبداعية التــي تصل أحياناً إلى حدّ الاســتحالة، فتصير محاولة طلب بيت

النفس تــكل وتمل فتحتاج إلى أوقات نقاهة

كان الشــعراء والنقــاد واعيــن بصعوبة العملية الإبداعية

واحد ضرباً من المحال، واســتنفاداً للجهد، واســتفراغاً للطاقة، هنا يصير الإبداع أشــبه بخيوط الشمس الذهبية التي لا يستطيع أحد تلقّفها والإمســاك بها أو ســراباً يتراءى من بعيد يُطمع ولا يغني شيئاً.

إن حال العجز لها أســباب كثيرة، أهمها كثرة العمل ومداومته من الشــاعر حتى «تكلّ قريحته... وتنزف مادتــه، وتنفد معانيه» (العمــدة،1\206)، لذا تكون الحاجة ماسّــة إلى أخذ قســط من الراحــة قد يطول وقد يقصر لتهبّ النفــس من جديد، وتعود إلى نشــاطها، وينقدح زناد الخاطر بالمذاكرة ومطالعة الأشــعار؛ لأنها تؤدي دوراً مهماً في إيقاظ أبصار الفطنة وتبعث على الجد وتولد الشهوة (المصدر السابق)؛ لهذه الأسباب وغيرها، ينبغي للشاعر ألّا يكدّ قريحته ويتعب نفســه لأنه لن يمسك بشيء ذي بال، ولنا في نصيحة بشــر بن المعتمر، درس بليغ وقاعدة ذهبية: «إذا عارضك الضجر فأرح نفســك... واجعل شهوتك لقول الشــعر الذريعةَ إلى حسن نظمه، فإن الشــهوة نعم المعين» (المصدر نفسه، 2\115)، ذلك أن المرء إذا اشتهى شيئاً أقبل عليه إقبال الظمآن على الماء، فالابتعــاد عن ممارســة القول الشــعري لبعض الوقــت يولّد عند الشــاعر طاقة ورغبة، وعندما يقبل على القول وهو مرتاح البال، خال من البلبال تقوده الشــهوة فيأتي بالفرائد الحســان، والدّرر اللامعة، واللآلئ النادرة.

سعود سليمان اليوسف
السعودية

أراود الليل

أراودُ اللّيْـلَ لَـمْ أُغْمِـضْ ولَـمْ أَصْـحُ
في كَأسِـكِ البُرْءُ أمْ في كأسِكِ الجُرْحُ؟
قَصّـتْ جَناحـي بأفْـقِ الحُبّ أَسْـئلةٌ
مَـنْ أنْـتَ.. قمـةُ أحْلامـي أم السَّـفْحُ
هـذا أنـا بانْدِفـاعِ الشَّـوْق مُزْدَحِـمٌ
وهَـلْ علـى البَحْـرِ عَتْـبٌ أنّـه مِلْـحُ
أَحْصَيْـتُ كُلَّ خَسـاراتي.. وأيْسَـرُها
قَلْبـي وكُلُّ خَسـاراتِ الهَـوى رِبْـحُ
كَـمِ احْتَطَبْتُ اشْـتِياقاتي لِنـارِ جَوى
كَي تَصْطَلـي دِفْءَ تَدْليلي.. ولي اللَّفْحُ
قَلْبـي حِصـانُ هَـوىً أنْهَكْـتِ صَهْوَتَهُ
ومـا لَـهُ مِنْـكِ إلّا العَـدْوُ والضَّبْـحُ
كفـارسٍ طَعْنَـةُ الأحْبـابِ تُلْهِمُـهُ
أنَّ الهَزيمـةَ فـي حَـرْبِ الهـوى فَتْـحُ
يَمْضي بِنَزْفِ غُمـوضٍ.. كالقَصيدةِ لَمْ
يُظْهِـرْ مُوارَبَـةَ المَعْنـى بِهـا شَـرْحُ
تَرَكْـتُ فـي ذِمَّـةِ الذِّكْـرى حِكايَتَنـا
والحُـبُّ يَعْـرِفُ مَنْ يُبـدِي ومَن يَمْحو

مؤيّد نجرس
العراق

ساعي الدفء

يُـــروّضُ كُـلَّ امْـتِـعـاضِ الشِّـتـاءْ
يُـهـدِّئُ وَخْـــزَ دُمـــوعِ الـنِّـسـاءْ
يَـصُـدُّ بِـيُـمْـنـاهُ نَـفْـثَ الصّقيعِ
ويُـــدْرِكُ مـا لَـمْ يَـقُـلْـهُ الـبُـكـاءْ
وَحـيـداً يَـمُـرُّ بِـلَـيْـلِ الـخِـيـامِ
وحَـــوْلَ خُـطـاهُ جَـلـيـدُ الـعَـراءْ
ولاشَـــيْءَ يَخْشى سِـوى أنْ يـذوبَ
على قِـطَـعِ الـثّـلـجِ جَـمْـرُ الـرّجـاءْ
سَـيَـتْـلـو أخـيـراً صَـلاةَ الـسُّـكـونِ
ويُـــورقُ فـي راحَـتَـيْـهِ الـدُّعـاءْ
ويُـثْـمِـرُ أُغْـنِـيَـةً لـلـشُّـروقِ
صـبـاحـاً ضَـحـوكـاً وشَـمْـسَ هَـنـاءْ
ويَـضْـفِـرُ مـن شَـعْـرِهـا سُـنْـبـلاتٍ
وقَـمْـحـاً سَـيُـخْـبَـزُ لِـلـفُـقَـراءْ
ويُـطْـعِـمُ جـوعَ الـخِـيـامِ ابْـتِـسـاماً
وشـايـاً لَـذيـذاً بِـطَـعْـمِ الـمَـساءْ
هـو الـفَـرَحُ الـطِّـفْـلُ مَـرَّ سريعاً
يُـجَـمِّـلُ أسْـمـاعَـهُـم بـالـغِـنـاءْ
لـذلـك يَـعْـلـوهُ وَجْـــهٌ نَـقِـيٌّ
وإنْ بَـلَّـلَ الـطّـيـنُ وَجْـهَ الـحِـذاءْ
وظَـلَّ يُـمَـشّـطُ شَـعْـرَ الـــدُّروبِ
وحَـلْـوىً يـــوزّعُ لـلأصْـدِقـاءْ
ويَـنْـثُـرُ حِـبْـرَ الـمـواعـيـدِ حتّى
يُـبَـرْعِـمَ لِـلْـعـاشـقـيـنَ الـلِّـقـاءْ

وأتبعت سببا

بدرية البدري
عُمان

لَمْ أسـلُكِ الدَّرْبَ لمّا جاءَ مُنعَطِفا ... وأجْمَعِ الحُبَّ من سِقْطِ الهَوى نُتَفا

ولا أَوَيْـتُ إلـى رُكْـنٍ لِيَعْصِمَني ... ولا اشْـتَهَيْتُ مِن الأثْمـارِ ما قُطِفا

مَشَـيْتُ وَحْدِيَ والأيّـامُ تَعْبُرُ بي ... كأنّنـي القَـومُ والحُـرّاسُ والخُلَفا

مَضَيْتُ أتْبَعُ في صَمْتٍ هَديرَ دَمي ... وعُدْتُ في ثَوْبِ بِنْتٍ أسْرَفَتْ رَهَفا

تُرْسـي الدُّموعَ على أهْدابِها وَتَراً ... ويَتْـركُ الشِّـعْرُ في أوْراقِهـا نُطَفا

لِكِذْبَـةٍ صَدَّقَتْهـا.. الآنَ تَذْكُرُهـا ... كانـت لِـكُلِّ سِـهامٍ أُرسِـلَتْ هَدَفا

وتَذْكُـرُ الآنَ مـا قالـوهُ ضاحِكَةً ... عَنْ شُـبْهةِ الذَّنْبِ لمّا أغْرقَ الشَّرَفا

قالوا قَديما أيـا بِنْتَ النَّخيلِ فَمٌ ... يُدَنْـدِنُ الشِّـعْرَ يَبْدو حُزنُـهُ تَرَفا

قالـوا مُرَفّهـةٌ تَخْتـارُ أحْرُفَهـا ... حتّـى يُقـالَ بها جُـرْحٌ وقَـدْ نَزَفا

وقال مَن يَسْـرِقُ الأحْلامَ مَوْعِدُنا ... في مَغْرِبِ الدِّفءِ نَطْوي صَوْتَها كِسَفا

ونَمْسحُ السَّطْرَ في أوْراقِ ضِحْكَتِها ... ونَرْسُـمُ البُعْـدَ يَبْـدو للّقـا كَنَفا

ونَبْعَـثُ اللّيلَ يَطْوي وَجْهَها مُدُناً ... تَسْـتأنِسُ الظِلَّ والأقْفـالَ والغُرَفا

ونَشْنُقُ الحُلْمَ في مَسْرى ضفائِرِها ... لِتَصْمُـتَ الرّيحُ في أحْداقِها سَـلَفا

ويَهْبِطَ الخَوفُ من أقْصى خَرائبِهِ ... حتّى يُحـدِّقَ في ضِلْعٍ لها انْكَشَـفا

حتّى إذا مَشْـرِقُ النِّسْـيانِ أدْرَكَها ... وأطْفـأتْ جُمْلـةً واسْـتَنْفَدَتْ لَهَفا

ألْقَـتْ رِهـانَ قَوافيهـا تُبارِكُهـا ... وأتْبعَتْ سَـبَباً واسْتَرْسَـلَتْ شَـغَفا

القـارئ

خالد الحسن
العراق

فـي غَفْلةٍ مِـنْ أبـي.. قَلْبي لَهـا ذَهَبا ... وبِعْـتُ خاتَمَـهُ كـي أشْـتَري كُتُبـا

قـد كانَ أهْـداهُ لـي إذ قالَ: يـا وَلَدي ... حافِـظْ عَلَيْـهِ ولا تَمْنَحْـهُ لِلْغُرَبـا

وكُنْـتُ أُبْصِـرُ دَوْمـاً فـي زَخارِفِـهِ ... عُمْـراً عَتيقـاً علـى جَنْبَيْهِ قَـدْ كُتِبا

في فَصِّهِ مَرَّتِ الشَّـمْسُ التي اختُصِرتْ ... وأيْقَظَـتْ في اللّيالـي ضَـوءَهُ الذَّهَبا

ولَـمْ أغـادِرْهُ مُحْتاجـاً، ولَـمْ يَـزل ... الـنّهارُ فيـهِ يُغَطّـي اللَّيْـلَ إنْ نَشَـبا

وظَـلَّ.. قُلْـتُ لَـه: لَمَّـا رأتْ كُتُبـاً ... عَيْنـاي: كُـنْ لِكتابٍ فـي يَدي سَـبَبا

وكانَ مـا كانَ.. لكنّـي اشْـتَرَيْتُ بِـهِ ... عُمْراً سَـقى الـرّوحَ مِـنْ آلائـهِ عَجَبا

قَـرَأتُ فيـه عَـنِ الإنْسـانِ مُبْتَكِـراً ... طُفولـةً تُمْسِـكُ المَعْنـى إذا هَرَبـا

وعَـنْ مَراياهُ.. عَنْ وَجْـهِ الفُصولِ وعَنْ ... نَهْـرِ الحَيـاةِ الَّـذي لمّـا يَـزلْ عَذِبـا

وعِشْـتُ في دَفَّتَيْهِ.. الحُزنُ غَيْمُ أسـىً ... أخـافُ لَـوْ مَـرَّ ذِكْـرُ الخاتَمِ انْسَـكَبا

وبَعْدَمـا اكْتَشَـفَ المَخْفِـيَّ قـالَ أبي: ... مَتـى قَـرأتَ تَجِـدْ بَـوْحَ الكتـابِ أبا

من سدرة أخرى

حكم حمدان
المغرب

العابِرونَ.. هُنا في غُرْفَتي وَقَفوا
تَجَرّعوا دَمْعيَ المَفْجوعَ وارْتَشَفوا
تَحَدّثوا عَنْ رؤاهُمْ شاخَ مَطْلِعُها
وعَنْ تَكَلُّسِ دَمْعٍ كُلّما نَزَفوا
تَخَفَّفوا مِنْ أساهُمْ حَمّلوا جَسَدي
ما لا يُطيقُ مِنَ الأحْزانِ وانْصَرَفوا
كانوا كثيرينَ مالَتْ كُلُّ أعْيُنِهِم
صَوْبي وكُنْتُ وَحيداً حينَما قَصَفوا
كابَدْتُ.. أبْحَثُ في القاموسِ عَنْ لُغَةٍ
لَمّا أكابِدُ والقاموسُ يَنْتَصِفُ
صاغوا قَصيدَةَ حُزْنٍ.. كُلُّهُمْ صَدَحوا
كأنّهُمْ في شؤونِ الحُزْنِ ما اخْتَلَفوا
لَمْ يَتْرُكوا أيَّ بَيْتٍ يَسْتَجيرُ هَوىً
كانَت سَكاكينُهم في البالِ تَرْتَجِفُ
وكُنْتُ والمَوْتُ يَدْنو..أخْتَلي بِدَمي
أُعيدُ وَصْلَ التي في القَلْبِ تَعْتَكِفُ

أُعيدُها مِنْ أسىً.. يَغْتالُ أوْرِدَتي
ومِنْ تَقَلُّبِ هذا الشَّوْقِ..أعْتَرِفُ
أضُمُّها كَيْ أواسيني.. لِتَهْدِئَتي
تَضُمُّني كَيْ أواسيها.. فَنَنْجَرِفُ
لَمْ نَبْلُغِ الشّطَّ.. كانَ الحُبُّ يُلْهِبُنا
ثُمّ احْتَرَقْنا فَصارَ الشَّطُّ يَنْكَشِفُ
كُنّا نُسابِقُ في الأحْلامِ أنْفُسَنا
لكنْ إلى الخَلْفِ... يُدْمي خَطْوَنا اللّهَفُ
مُتْنا على عَهْدِنا..ألّا يموتَ لَنا
هذا الغَرامُ الّذي بالحُزْنِ يَلْتَحِفُ
والآنَ.. مِنْ سِدْرَةٍ أخْرى أقولُ لها
حُرٌّ مِنَ الحُزْنِ لكنْ سِجْنيَ الأَسَفُ
مُتْنا.. وفي جُعْبَتي أشْلاءُ أسْئلةٍ
وجُثّةٍ لِجوابٍ نالَهُ الخَرَفُ
لا إرْثَ.. نَتْرُكُ لِلْعُشّاقِ قِصَّتَنا
وَحْياً يُرَدِّدُهُ مِنْ بَعْدِنا الخَلَفُ

صاحب تجربة ثرية تجمع بين الإعلام والكتابة الإبداعية

الشاعر الليبي محمد المزوغي:

القصيدة الخليلية قادرة على التماهي مع القضايا المعاصرة

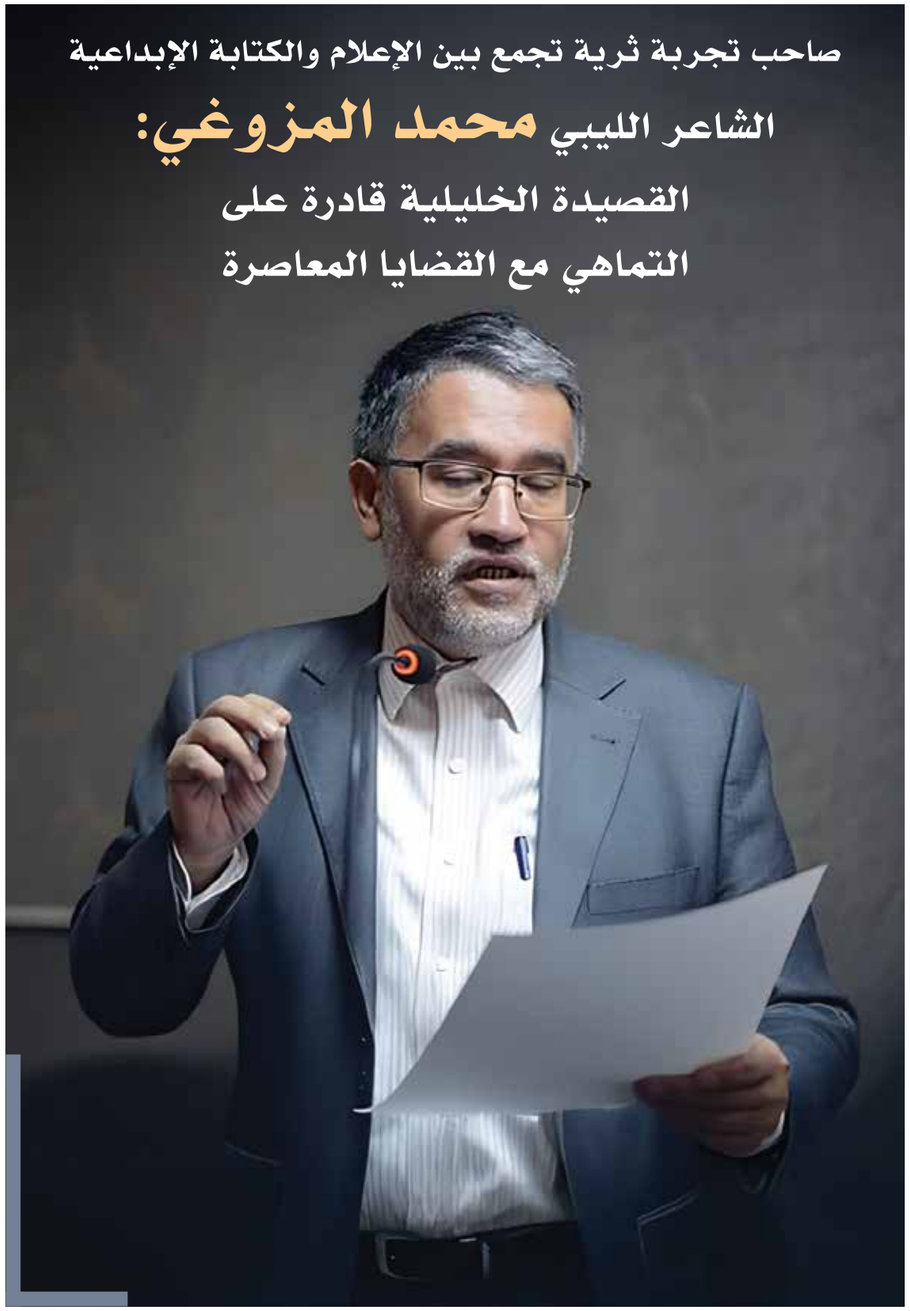

أحمد الصويري
السويد

يــرى الشــاعر الليبي محمد المزوغــي، أن القصيدة الخليليــة تمثل التطور الطبيعــي للقصيدة العربية، وأنها قادرة علــى التماهي مع القضايا المعاصرة، شأنها في ذلك شأن اللغة العربية التي ما زالت تثبت أنها متجددة ومتطورة. له تجربة مميزة في توأمة الشعر مع فن الخط العربي، ومحاولة نقل الشعر مــن رفوف المكتبات إلــى جيوب القــراء، ويعدّ الجيل الجديد من الشــعراء رهان القصيدة العمودية الحديثة. حديث عن الشــعر والصحافة والذكريات مــع الشــاعر الليبي محمــد المزوغي في هــذا العدد مــن مجلــة القوافي...

• بين الشــعر والصحافة والنشر والإذاعة؛ إلى أي حد أثرى هذا التنوّع تجربتك الشعرية؟

- الإعلامــي يتقاطع مع الشــاعر فيه، يهيمن عليــه، يحاصره، يستولي على كل الوقت والجهد، ولهذا بالكاد يفلت الشاعر من أسر الإعلامي. العمل الإعلامي لا يعطيك بعضه حتى تُعطيه كلك، والعمل الإبداعي كذلك؛ ولهذا يحــدث التصادم وغالباً ما يخرج الإعلامي منتصراً. لكن من جانب آخر يتيح لك الإعلام مســاحة للتعرّف إلى المبدعين الكبار والوقوف على المنجــز الإبداعي، هذا الاحتكاك بالعمالقة يجعلك تقف طويــلاً أمام نصك، بل يجعلك في مواجهة معه، فتتخلص من سيطرته عليك، ومن هنا تتلمس بداياتك الحقيقية، فتسعى لتطوير أدواتك ومنح رؤيتك قدراً أكبر من العمق.

• ما الذي ينقص الشعر اليوم؟

- القصيــدة العربية اليــوم ربما تعيش أزهــى عصورها؛ فقد اســتطاعت أن تعود إلى جذورها -بفضل جهود مخلصة - وتنطلق منها لتعبّر عن عصرها، وإن كان هناك من لا يزال يقف مدججاً بكل المفاهيم القديمة عن الحداثة، فلا يراها خارج قصيدة النثر، ويتخذ الموقف الرافض نفسه من النصّ العمودي المعاصر الذي أحدث خلخلة في المفاهيم السّائدة. وأكّد أنّ الشكل الخليلي قادر على التماهي مع قضايا الإنســان المعاصر شــأنه في ذلك شأن اللغة العربية نفسها التي أثبتت أنها متجددة دائماً متطورة أبداً.

المبهج في الأمر أنّ المتلقّي - بعيداً من النقد المؤدلج - يجد نفســه في القصيدة العمودية المعاصرة، ويتفاعل معها، ويرى أنها تعبــر عنه تماماً، وربما يعود هذا إلى أنهــا تمثل التطور الطبيعي للشعر العربي فهي تعتمد على أصالة الشكل وحداثة المضمون.

إنّ ما ينقص القصيدة المعاصرة ، الحركة النقدية المواكبة فما زال النقد أسير المنجز السابق، ولم يلتفت بعد إلى القصيدة التي يكتبها باحترافية عالية جيل اليوم، الذي كسر كل توقعات القائلين بمــوت القصيدة العمودية، فعادت منتفضــة، وزال القبر والكفن، كما يقول المتنبي.

استطاعت القصيدة العربية أن تعود إلى جذورها وتنطلق منها

الشــعر العربي ليــس تأمليّاً يقرأ بمعزل عــن الناس، والقارئ العربــي أذكى بكثير ومغاير تماماً للصورة النمطية التي يرســمها له بعض النقــاد؛ المتلقّي العربي في اللحظة التي يحسُّ فيها بأن القصيدة غير معنية به يهجرها تماماً، وهذا ما حدث عندما تحول الشــعر إلى طلاســم مغرقة في الرمزية أو مغرقة في العَتَمَة على الأصحّ، فخســر قرّاءه الذين ذهبوا ينشــدون شعراً يعبر عنهم في ألوان أخرى. الشعر الآن يستعيد عافيته وحضوره على يد القصيدة العموديــة المعاصرة التي تحمل بعضاً من ســمات عمود الشــعر بالمعنى الذي قعّد له المرزوقي في مقدمة ديوان الحماســة، لقد اســتطاعت هذه القصيدة المعاصرة قصيدة اليوم - التي لم تنتج نقادها بعد - اســتعادة جمهور الشــعر العربــي وردّه إلى مقاعد الآماســي الشعرية؛ ويبقى على النقد أن يقف عندها وقفة تنصف التطوّر الذي وصلت إليه.

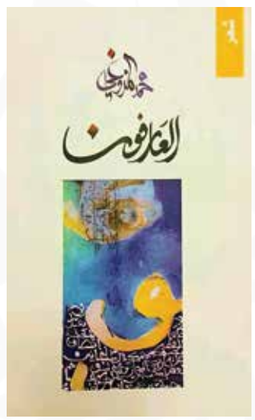

• ديوان «مفردات» تتمازج فيه القصائد وجمالية الخطّ العربي، من أين بدأت هذه الفكرة وما الرسالة التي تحملها؟

- للناقد الكبير الدكتور خليفة التليسي، كتاب «قصيدة البيت الواحد»، صدر في طبعته الأولى عام 1986 حاول فيه ردّ الاعتبار إلى البيت الشعري الذي يمثل خلاصة التجربة الشعرية، ويسميه ابن سلّام الجمحي «البيت المُقلَّد»، وهو المستغني بنفسه عن غيره. ويرى التليسي أنّ هذا البيت هو الأساس الذي بنيت عليه القصيدة العربية قديماً، والأسبق إلى مفهوم الومضة التي ظهرت حديثاً. وقد ألحق بكتابه نماذج تمثل مفهوم هذا البيت الذي أطلق عليه مصطلح «قصيدة البيت الواحد»، وهي الفكرة التي أعاد إنتاجها شعراء آخرون. وكانت فكرة ديوان المفردات تقوم على جمع ما تناثر في عدد من دواويني مما يمكن أن يندرج تحت هذا المصطلح وإصدارها في ديوان صغير الحجم يمكن أن يحمل في الجيب بسهولة ويمكن قراءته في جلسة واحدة.

وقد تعاونت مع الفنان التشكيلي محمد الخروبي، في تجسيد معاني الأبيات تشكيلياً ليتحول البيت، مع معناه المكثّف، لوحةً بصريةً. والعمل محاولة لجعل دواوين الشعر تغادر رفّ المكتبة لتسكن جيب القارئ.

القصيدة العربية اليوم تعيش أزهى عصورها

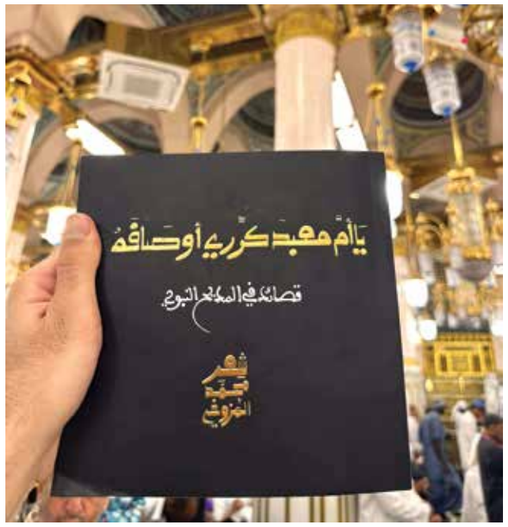

• منطقة بويرات الحسون التي تنحدر منها، لها حضور كبير في كتاباتك؛ كيف تحكي لنا عن تأثير المكان في نتاجك الشعريّ؟

- البويرات قرية صغيرة تقع على شاطئ البحر، وقد غادرها آبائي قديماً لكننا نعود إليها بين الحين والآخر، وفيها ربما بسبب الانقطاع عن ضجيج المدن وملاحقات الأعمال أجد وقتاً أخلو فيه مع القصيدة أو تخلو فيه القصيدة بي؛ فتكتبني كما تريد!

• تحيط إمارة الشارقة الشعر برعاية قلّ مثيلها؛ كيف تنظر إلى مثل هذه الخطوات وأهميتها للنهوض بالشعر العربي؟

- إذا كنا نتحدث عن نهضة القصيدة العربية المعاصرة فأظن من البدهي القول إن جهود إمارة الشارقة عامل رئيس في تلك النهضة، فحيث يمّمت وجهك في أنحاء الوطن العربي الكبير وجدت بيتاً للشعر تشرف عليه هذه الإمارة التي تتنفس ثقافة وانتماء لكل ما هو أصيل في ثقافتنا العربية، وتعجب لهذه البيوت التي لا تقتصر على نشاط واحد للشعر، بل تتعدد أنشطتها طوال العام، وقد أتيح لي المشاركة في بعض أنشطتها في القيروان، ورأيت كيف يتعلم الأطفال أساسيات القصيدة العربية وكيف يحمل الشباب دواوينهم الأنيقة التي صدرت لهم بفضل تلك الجهود العظيمة التي تمتدّ بمساحة الوطن الكبير.

ما ينقص القصيدة المعاصرة الحركة النقدية المواكبة

جهود إمارة الشارقة عامل رئيس في نهضة الشعر العربي

• كنت ترأس مجلة «الثقافة العربية» لمدة؛ هل أسهمت المجلة في منح الضوء لأصوات كانت جديدة ونراها الآن على الساحة؟

- «الثقافة العربية» كانت مشروعاً ثقافياً كبيراً ومهماً؛ تأسست في بيروت سنة 1973، ثم نقلت إلى ليبيا وتولّى رئاسة تحريرها كُثُر: الروائي أحمد إبراهيم الفقيه، والشاعر محمد الفيتوري، والأديب المصري رجاء النقاش، والقاص محمد الشويهدي. وقد مرّ عبرها الكثير من الأصوات العربية الكبيرة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: فدوى طوقان، والبياتي، وسميح القاسم، والبردّوني، والمقالح، وإحسان عباس، وعبد السلام العجيلي، وسليمان العيسى، وأمل دنقل، وعزت الطيري، وجميلة الماجري، وحسن السوسي... والقائمة تطول؛ وقد أسهمت هي وشقيقتها مجلة «الفصول الأربعة» في ظهور أصوات كثيرة في الشعر والنقد والقصة خصوصاً في ليبيا.

يوقع ديوانه «يا أم معبد كرري أوصافه»

الشعر لا ينحاز إلى شيء بقدر ما ينحاز إلى الإنسان

مدينة بنغازي مسقط رأس الشاعر

• «لا وقت للكره» هل كان هذا العنوان تجسيداً لمبدأ ما، أم هو خلاصة أراد الشاعر قوله بعد مرحلة ما؟

- أنا أظن أن الشاعر إنسانيٌّ في أبهى تجلياته، وأن الشعر لا ينحاز إلى شيء بقدر ما ينحاز إلى الإنسان، ولا شيء كالكره يقتل الإنسانية! ومن هنا؛ فإن الوقت ينبغي أن يكون للحبِّ لا للكره؛ فالحب مرادف للحياة والكره شكل من أشكال الموت:

وعُمْرُك مَوْقوفٌ على الحُبِّ وَحْدَهُ
فَحين يجيءُ الحُبُّ يَبْتَدِئُ العُمْرُ

• ما رأيك بما تقرأ للجيل الجديد من الشعراء؛ وأتحدث هنا عن شعراء حققوا حضوراً على المنابر العربية وما يزالون في مقتبل العمر؟ وماذا تقول لهم؟

- الشعراء الذين حققوا حضوراً كثُر، وأنا مبتهج بهم، وهم رهان القصيدة العربية التي نعوّل عليها في جعل الحياة أكثر بهجةً، والعالم أبهى مكاناً للعيش، ومن المهم عدم التوقف عند حدّ ما والاستمرار في ارتكاب فعل القراءة؛ فلا شيء يأخذ بيد القصيدة كالقراءة الواعية؛ إذا توقفت القراءة توقف الإبداع.

قلبي يحدثني

محمد المزوغي - ليبيا

قَلْبي يُحَدِّثُني بأنّكَ أقْرَبُ ... مِنّي إليّ ولَيْسَ قَلْبي يَكْذِبُ
أنا فارِضِيُّ الحُبِّ لكن لَيْس لي ... تائيّةٌ هي في سَمائكَ كَوْكَبُ
وقَفَتْ بشاطئها العُقولُ وأبْحَرَتْ ... في بَحْرها أرواحُ مَنْ لَمْ يُحْجَبوا
لا وَقْتَ لي أحْتاجُ نِصْفَ عِبارةٍ ... عَنّي تؤدّي ما أشاءُ وأرْغَبُ
والشَّأنُ للألْفاظِ أنّكَ مُفْهِمٌ ... مَعنىً بها ما الشّأنُ أنّك مُسْهِبُ
أفْعالُنا هي نَحْنُ.. أصْدَقُ ما يُرى ... مِنّا.. وللأقْوال بَرْقٌ خُلَّبُ
كُنْ كَيْ أراكَ -وخَلِّ حَرْفَكَ جانباً- ... ظِلاً يُمَدُّ لِيَسْتَريح المُتْعَبُ
ما الحُبُّ مَجْنونٌ يَقول لِعابرٍ ... أنْأى وقَلْبي في الخِيامِ مُقَرَّبُ
لَكِنَّه «ابنُ الوَردِ» قَسّمَ جِسْمَهُ ... زاداً لِيأكُلَه الجِياعُ ويَشْربوا
الحُبُّ قَلْبُكَ حين يَفْتحُ بابَهُ ... مُتَعمِّداً للعابرينَ فَيُنْهَبُ
والحُبُّ كَفُّكَ حينَ تَمْسحُ دَمْعةً ... من عَيْن مَحْزونٍ ودَمْعُك يُسْكَبُ
خَبّأتُ في الصَّمْت الطويلِ مَواجِعي ... لا عاتِبٌ وَجَعي ولا مُسْتَعْتِبُ
في اللّيلِ تَشْهقُ - حين نَرْحلُ - نَجْمةٌ ... ويَضِجّ مِنْ أسَفٍ عَلَيْنا كَوْكَبُ
تُبْدي الكِتابةُ بَعْضَ حُزْنِ قُلوبِنا ... لَكنَّ أعْظَم حُزْنِنا لا يُكْتَبُ
في كُلّ قافِيةٍ نُسَرِّبُ بَعْضَهُ ... وكَثيرُهُ في الصَّدْرِ لا يَتَسَرَّبُ
يا حُزْنَ قَلْبي هَلْ تَرَكْتَ مَساحَةً ... فَلَرُبَّما فَرَحٌ يَمُرُّ فَتُعْشِبُ
ولَرُبَّما في اللَّيْلِ تَعْبرُ آيةٌ ... فَيَهيمُ في كَرَمِ الأُلوهَةِ مُذْنِبُ
قَدْ كانَ أنأى ما يَكونُ وإذْ به ... يُدْنى وعَنْ بابِ النّدى لا يُحْجَبُ

تحدثوا عن دورها في تجاربهم الإبداعية

شعراء: الأسرة هي المحفز

وتأثيرها ملموس ودائم

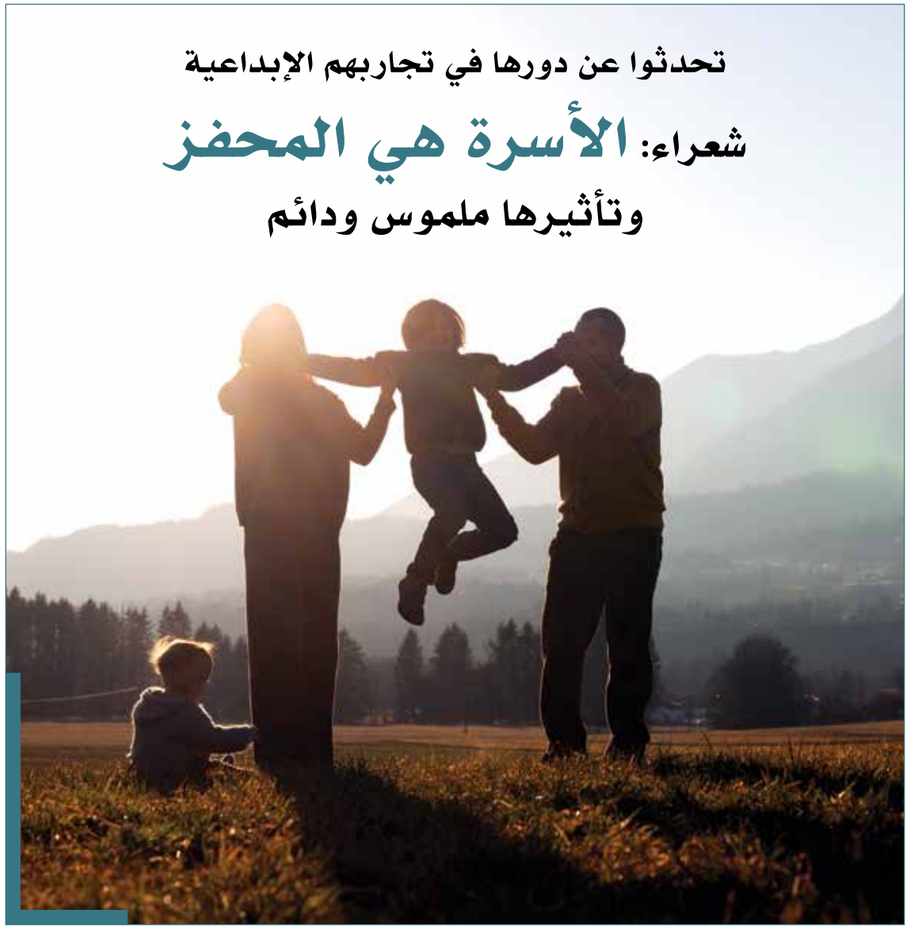

حسن حسين الراعي
سوريا

أثر المحيط في الإنسان أثر لا فكاك منه، إذ يسهم في تشكل وعيه منذ الطفولة المبكّرة، بدءاً من الأسرة التي تشكل حجر الأساس الأول في محيط كل منّا، ومن المؤكد أن هذا الأثر سيكون أشد تأثيراً عند الشاعر، لأن حساسيته العالية وفطرة الفن لديه، تجعله يستقبل المحيط برؤية مختلفة وخلّاقة؛ لكن مع اختلاف الأحوال والمعطيات بين شاعر وآخر، قد يختلف هذا التأثير سلباً وإيجاباً، وبالتركيز على أثر الأسرة في تشكيل الوعي، ودورها في شحذ التجربة الشعرية، استطلعنا آراء نخبة من الشعراء؛ وكانت هذه إجاباتهم:

قاسم الشمّري
العراق

بين الرفض والقبول والمواصلة

منذ نعومة قصائدي كان للأسرة الأثر الكبير في نموها بالسلب والإيجاب؛ فقد كان الوالد رحمه الله رافضاً أن أدخل عوالم الشعر، وأكون أحد لصوص النار، وكان لهذا الرفض ردة فعل ركبت بها موجة العناد كي أثبت له قبل أن أثبت لنفسي أو لغيره، أنّني أملك زمام مهرة القصيدة الجموح. وعندما انتقل إلى جوار ربّ كريم، وما رافق رحيله من أحداث مؤلمة دوّنتها في مجموعتي الشعرية «حروف لم تصل لأبي»، فقد كان لهذا الرحيل الأثر في استمرار العناد، لكي يولد أبي من صلب قصائدي وأن يعيش بي ذكراً.

مسحة الحزن التي ترتسم على وجه السطر حين أكتب هو طيف من الحزن الذي يحمله وجه أمي بين تجاعيده، والحب الذي ينثال بين أضلع الحروف، هو من تجلّيات ضلعي المستقيم، وما ترى من حنين وطفولة، هي فيض من ضحكات عيون أطفالي؛ فكل مجموعاتي الشعرية تجد فيها صوراً من دفتر الأسرة.

هاجر عمر
مصر

جوهر الحكمة والمساحة

ولدت ونشأت في مجتمع ريفي، تتشابك الأسر فيه، وتفرض قوانينها على الأفراد، على اختلاف مستوياتهم وثقافتهم؛ ويمكنني القول إن المجتمع الريفي أسرة واحدة كبيرة، وهذه الأسرة لها أفراحها وأحزانها، حكاياتها وأسرارها، والشعر هو مساحة الحرية التي تسمح بالتأثر بالأسرة والتأثير فيها. ويظل شيخ الأسرة أو الأب في الأسرة هو مثال هذا التماسك ورمزه ومعناه، قد يظن بعضهم أن الشعر محاولة للانفلات من قوانين الواقع إلى فوضى الخيال، ومن ثمّ سيكون الشعر محرضاً على الصدام مع قوانين الأسرة والصدام مع الأب، لكنني أرى الأمر على نحو مختلف؛ فالشعر عندي جوهر الحكمة، وكشف البصيرة. إن احتفائي بقيمة الأب في كثير من قصائدي امتداد لتراث كبير من الشعر العربي الذي يحتفي بالقبيلة ويعتز بتأثيرها، وهو في الوقت ذاته تمثيل صادق لقناعتي وتجربتي الخاصة.

زين العابدين الضبيبي
اليمن

الجمهور الأول

الأسرة هي الأرض، وما الشعراء إلا أشجار تنبت في هذه الأرض، فهم مرايا لأسَرهم وللواقع الذي عاشوا فيه. وبتجربتي فقد عشت في أسرة متواضعة السلوك والحال؛ أورثتني طباعها وحمَّلتني همومها وهموم من يعيشون في مستواها الاجتماعي نفسه، فحرصت في كلِّ مراحل حياتي على أن أكون صوتاً لهذه الطبقة من المسحوقين بقدر ما أسعفتني الموهبة، وحرضتني التجارب التي عشتها وعايشتها. والأسرة هي الجمهور الأول لكلِّ مبدع؛ يختبر فيها حواسّ خياله وأصابع لغته التي تتلمّس سمع المتلقّي الأول وذوقه، وكم هو محظوظ من وجد التشجيع من أسرته الصغيرة، فهو إذا امتلك الموهبة ووجد من يؤمن بها فقد قطع نصف الطريق إلى تحقيق المأمول إذا استمر وأخلص، وهو ما حُرِمَ منه الكثير منّا.

عائشة الشامسي
الإمارات

المبدع كائن اجتماعي

النظريــة الاجتماعية تقول إن الفــن إنتاج جماعي وليس فرديــاً، والمبدع كائن اجتماعي يســتجيب للبيئة التي يعيش فيها، ويرتفع الحسّ الجمالي أو يهبط لديه، بحســب البيئة الاجتماعيــة. وصحيح أن للأســرة دوراً كبيراً وثابتاً في التأثير في التجربة الشعرية، فهي جزء من هــذا الإبداع الــذي يعيش ضمن محيطــه فيتكون ويتطــور بتحفيزٍ منه، والتجربة الشــعرية قد تنمو وقد تهبــط، وفقاً لنوع التأثير الذي يصاحبها، وهذا ما صنع التجربة الشــعرية لعائشة، وجعلها تنشر قصائدها وهي طالبة على مقاعد الدراســة، الأســرة وقفت إلى جانبي وأســهمت في صُنع تجربتي الشــعرية، والدي الذي لم يُنكر تجربتي بــل افتخر بها، أمي التي أصبحتُ حديث فخرها بين جاراتها.

لم تكن الأســرة مشاركة ومساندة فقط، بل أسهمت في تشــكيل الوعــي الإبداعــي وعلّمتنــي كيف تكون مســؤولية الشــاعر حين يكتب القصيدة، وحملت هذه المســؤولية إلى الآن بوعي وأنا أستحضر أسرتي في كل قصيدة أكتبها.

حسن شهاب الدين
مصر

مدار لقصائد عدة

للأســرة دور إيجابــي كبير في تجربتي الشــعرية، فقد بــدأت تجربتي مع قصائد الأســرة، منــذ ديواني الأول «شــرفة للغيم المتعب» بقصيدة أحلام نور الدين الصغيرة، حيث عبرت فيها عن فرحتي بابني الأول، ثم في ديوان «واحد بأســرة» كنت على موعد مع قصيدة فراشــات رقية وكائنات يســر الدين الصاخبة، ولعلني أذيع لك ســراً عن ديواني الجديــد، حيث يحتفي أيضا بأبنائي في إحدى قصائده، أما والداي فقد كان ديوان «متوج باســمي» وهو الثاني، فاتحة الكتابة عنهما فقد اتخذت من سيرة والدي مداراً لقصائد عدة- وقد تبللت أوراق ديوانــي الجديد بدموع مرثيّته، ثم كانت قصيدة «زينــب»، في ديوان متّهم بخــداع العالم عن الوالدة، وأما ديوان «كأول شــاعر في الأرض»، فقد جاءت فيه قصيــدة مهداة إلى أخي الكبيرِ الذي أصبحتُ شــاعراً بــدلاً منه؛ هذا إلى جانــب قصائد عدّة أوحاها رحيل الأعزاء من الأســرة. ولذا فإن للأسرة في شعري أثراً كبيــراً، ومن الطبيعي تماماً أن يلتفت الشــاعر إلى أقرب الناس إليه في شعره.

رابح فلاح
الجزائر

صقل التجربة وتذوّق الشعر

انطلاقاً من فكرة أن الإنســان ابن بيئته، كما يقول ابن خلدون، نتأكد أن للأســرة دوراً بارزاً في في تشــكيل وعي الشاعر وصقل تجربته؛ فالوالد رحمة الله عليه كان أســتاذ لغة عربية، عاشــقاً للشــعر، وكان اتصالي بالشعر بفضل دواوين الشعراء التــي تملأ مكتبته. كمــا أنه كان يكلفني كتابة بعض القصائد التي تنشــرها الجرائد والمجــلات وجمعها، ما جعلني أحفظ عدداً كبيراً من القصائد في ســنّ مبكرة، لهذا أعتقد أن الفضل الأكبر في كوني شــاعراً اليوم هو أســرة متذوقة للشعر، عاشقة للجمال والفن.

وئام كمال الدين
السودان

النقد والنصح والمساعدة

لطالمــا كانــت أســرتي داعمــاً ومؤثــراً حقيقيّاً في مســيرتي الشــعرية، بدأت الاهتمام بالشــعر قبل كتابتــه ضمن موضوعات كثيرة أثــارت اهتمامي في مكتبة والدي التي لا تــزال تحوي كتباً نادرة ومميزة وأخرى مشــهورة وأخرى قد لاتجدها إلا في مكتبات الجامعــات وضمن تخصصات معينــة، والدي المهتم بالأدب والشــعر (عالــم كيميائي) دخل موســوعات عالميــة لتميزه وإســهامه في مجالــه إلا أنه، كذلك ابن بيئة الســودان المتصوّفة المحبّة للأدب والتاريخ وكتب الأثر.

ووالدتي ابنة الخرطوم من زمن كانت فيه الخرطوم تقرأ؛ أذكر أنني أنهيت سلســلة «العقد الفريد»، وأنا في الصــف الأول المتوســط، وكنت قــد بدأتها من الصف الســادس الابتدائي، فــي العام الذي بــدأت فيه كتابة الشعر؛ ولا يزال دعمهم لي متمثلاً ليس بالتشجيع فقط، وإنما بالنقد والنصح والمساعدة وتفهّم أوضاع الكتابة ورعاية أطفالــي أحياناً؛ فليس من الســهل أن يكون المرء شاعراً ناهيك بكونه امرأة وأمّاً.

عمر الراجي
المغرب

الحاضنة والمحفّز والفضاء النفسي

في مرحلة البدايات كانت الأســرة بمنزلة الحاضنة المرجعيــة لحال الإبداع لديّ. لقد شــكلت بالنســبة لي عامــلاً محفزاً علــى الإبداع، وفي الوقت نفســه فضاء نفســياً واجتماعيــاً يتبنّى هذا الفعــل الإبداعي ويدافع عنــه. فوالدي رحمــه الله كان شــاعراً شــعبياً، ومحباً للشــعر الفصيح. مهتماً غاية الاهتمــام بالتاريخ العربي ومولعاً بالبــداوة وتقاليد الصحراء وأجوائها. وقد غرس فيّ مبكــراً عناصر هذه البيئة الثقافيــة المتّقدة بنبض الإبــداع؛ ومن جانب آخر، حرص علــى أن أدخل إلى الكتاتيب القرآنية بهدف حفظ ما تيسّر من سور القرآن الكريم، وكذلك مــن أجل التمكّن من أســلوب العربية وقواعدهــا. وحين وصلت إلى المرحلــة الإبتدائية كان مســتواي اللغوي يؤهّلنــي لخوض تجــارب مبكّرة في الكتابة، وكان الشعر أول تجاربي وأهمّها.

ومجمل القول إن الكنز الذي تمنحه لك الأسرة، هو حالة الولع بالإبداع والحاجة إليه في الوقت نفسه. فمن حنان أفرادها تكتب، وعن أحزانك وأحزان هذه الأسرة تكتب، ومن أجل هذه الأسرة، كذلك، أنت تكتب.

تعد مركزا ثقافيا وحضاريا

المنامة البحرينية

مدينة تزخر بالشعراء والقصائد

هناك على البحر، حيث تمتدّ أمواج المياه اللامعة، وتشرق الشمس محمّلة بالجمال والطيبة، تظهر «المنامة»، تلك المدينة الراسخة في التاريخ، التي تمد يديها لترتدي أساور القصيدة الذهبية، وتكتحل بليل الشعراء.

د. حنين عمر

تقع «المنامة» على الساحل الشرقي لجزيرة البحرين، وقد أعلنت عاصمة عام 1971، ورغم أن المتداول عنها هو أنها أسست نحو عام 1300 للميلاد، فإن تاريخ المدينة أقدم بكثير من ذلك، إذ تشير البحوث التاريخية إلى وجود آثار بشرية فيها منذ العصر البرونزي، كما تؤكد أهميتها مركزاً حيوياً أثناء قيام الحضارة الدلمونية، وما تعاقب بعد ذلك من حضارات على المنطقة.

أما فيما يخص تسميتها التي وردت تاريخياً لأول مرة عام 1330، فقد اختلف الباحثون فيها؛ إذ هناك من يرى أن أصل الاسم غير عربي، وهناك من يؤكد أنه عربي صميم، وأنّ «المنامة» تعني مكان النوم، ويبدو هذا أقرب إلى الصواب، إذا طابقناه مع قصة المدينة وما جاء في تاريخها.

غير أن أهمية «المنامة» لا ترتكز على هذا التاريخ المرتبط بالحضارات والأحداث وطرق التجارة فقط، إنّما تعود أهميتها الأساسية لكونها مركزاً حضارياً وثقافياً ذا خصوصية استثنائية في المنطقة العربية، فقد تميّزت بتنوع إنساني متفرّد، وبوجود حركة إبداعية دائمة، حتى أصبحت مقصداً للشعراء والكتّاب، ومنبعاً لكثير من التجارب الفنية والإبداعية.

والمتصفح لديوان العرب، يمكنه ملاحظة الزخم الشعري الذي تعجّ به الساحة الشعرية البحرينية، منذ القدم وحتى يومنا هذا، فكثير من شعراء البحرين والدول المجاورة سكنوها وزاروها حتى أصبحت جزءاً من وجدانهم وسيرهم، وكثير من الشعراء انتموا إليها.

إبراهيم العريّض

أحمد المطوّع

إبراهيم العريّض

ومن أبرز هؤلاء الشاعر البحريني الشهير إبراهيم العريّض، الذي ولد عام 1908، وتوفي في المنامة في أول مايو عام 2002، وكان مترجماً ومصلحاً ورئيساً للمجلس الدستوري، ثم سفيراً فوق العادة، وبعد وفاته أطلق اسمه على أحد الشوارع الرئيسة في المنامة، وأصبح منزله مركزاً ثقافيا وشعرياً.

وقد كتب العريّض عن الوطن والحب والجمال بإخلاص وبعاطفة رقيقة؛ فيقول عن شوقه للبحرين في ديوانه «الذكرى» الصادر عام 1931 :

من أبرز شعرائها ابراهيم العريّض

تشير البحوث إلى وجود آثار بشرية فيها منذ العصر البرونزي

إنّ غُصْناً أَطَلَّ في القَلْبِ غَنّى
فَوْقَهُ بُلْبُلٌ وناحَ حَمامُ
كُلّما اهْتَزَّ جانبُ القَلْبِ للذِّكْرى
فَلِلْوجدِ فَوْقَهُ أنْغامُ
ساقَني مَوْطِني على البُعْدِ شَوْقَ
الطَّيْرِ للظلِّ قَدْ بَراهُ الأُوامُ
والمَها لِلْمُروجِ والأَرْضِ
للغَيْثِ إذا أَمْحَلَتْ وماجَ القَتامُ

كما يتحدث عن علاقته بالشعر، وعن رؤيته له، فيقول مخاطباً ابنته، وشارحاً لها حالة الشاعر الروحية:

قلتُ يَوْماً لابْنَتي لَيْلى وقد
أَخَذَتْ ديوانَ «قَيسٍ» تَتَغَنّى
فكأنَّ الحُسْنَ أَوْلاها يَداً
فأرادتْ باسمِهِ أنْ تَتَجَنّى
طِبْتِ يا لَيْلايَ نَفْساً فافْهَمي
لَيسَ كالشّاعرِ في الأَرْضَ مُعَنّى
هو مِن أَحْلامِهِ في جَنّةٍ
فإذا حدّثَ عَنْها قِيلَ جُنّا
كُلُّنا طائرُهُ في قَفَصٍ
إنّما يُطْلقُهُ المَجْدودُ مِنّا

أحمد المطوّع

ومن شعراء البحرين أيضاً، أحمد إبراهيم يوسف المطوّع الذي ولد عام 1932 في مدينة المنامة، وتُوفّي فيها عام 1997، وقد كان كفيفاً، ونشأ في بيئة دينية، فتبحّر في علوم الفقه واللغة العربية والحساب، وبرع فيها بسبب موهبته في الحفظ وامتلاكه ذاكرة قوية، ثم ارتحل إلى مصر لاستكمال دراسته العليا

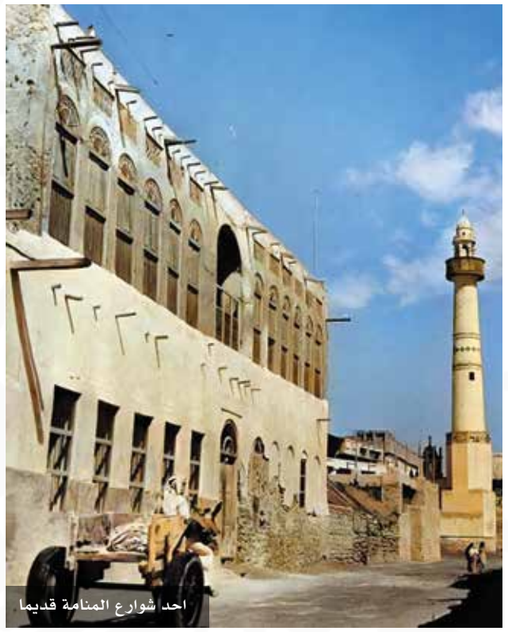
احد شوارع المنامة قديما

أصبحت مقصداً للشعراء ومنبعاً لكثير من التجارب الفنية والإبداعية

في جامعة الأزهر، حتى تخرجه عام 1958 في تخصص البحوث الإسلامية، فعاد إلى البحرين وشغل مناصب عدّة، فكان إمامًا وخطيبًا ومديرًا للمعهد الديني.. أما شعره، فلم يجمع في كتاب أثناء حياته، بل ترك مجموعة من القصائد المخطوطة التي لم تبتعد مواضيعها عن رؤيته الدينية والوطنية، فارتبط أغلبها بمناسبات معينة مثل الاحتفال بالعيد الوطني، والترحيب بضيوف البلاد أو المدح والدعاء الذي كان ينهي به دائما قصيدته، وكأنه يحاول بذلك تأكيد تمسكه بها، ومن قصائده الوطنية، قوله:

غنّتِ الدُّنْيا غناءَ الطَّرَبِ
نشوةً تَشْدو بِلَحْنٍ عَذِبِ
فَرْحَةٌ صادِقَةٌ قَدْ غَمَرَتْ
كُلَّ جُزءٍ مِنْ ربوعِ العَرَبِ
فالرّوابي مُشْرِقاتٌ في الثَّرى
والشَّواطي في الخَليجِ العَرَبي
والبَرايا جَذَلاً قَدْ رَقَصَتْ
وتَغَنّى كُلُّ شَيْخٍ وصَبي

تقيّ محمد البحارنة

علي النهام

سيد أحمد العلوي

سوسن دهنيم

وصَبا كُلُّ فؤادٍ وصَفا
وانْتَشى كُلُّ كَريمٍ وأبي
فَرْحَةُ البَحْرَيْن بالعيد الذي
عَلَّم النّاس طَريقَ الغَلَب

أما الشاعر محمد صالح يوسف، فقد ولد عام 1885، وعاش في المحرق مدة، ثم انتقل إلى المنامة حتى وفاته عام 1966، فقد كان أغلب شعره في المدح، فضلاً عن النصح الذي برع فيه، فيقول في أحد نصوصه التي يقدم فيها سيلاً من الإرشادات الحياتية التي تطرق أبواب مواضيع مختلفة، مثل الحب والمجد والتفاخر :

يا طالباً وَصْلَ سَلْمى كَيْ يفوزَ بها
مَهلاً فما يُرتجَى أمْرٌ بلا سببِ
هَيِّئْ لِنَيلِ مَرامٍ أنْتَ طالبُهُ
خيرَ الوسائل من فَضْلٍ ومن أَدَبِ
عَساكَ تبلغُ فيما أنْتَ راغبُهُ
أقْصى المُرادِ إذا أجْملتَ في الطَّلَبِ
وسائلٍ عَن طَريق المَجْدِ قُلْتُ لهُ
المَجْدُ في العِلْمِ والآدابِ والكُتُبِ
إنّ المَفاخرَ في علْمٍ وفي عَمَلٍ
وفي مَكارِمِ أخْلاقٍ وفي حَسَبِ

تقيّ البَحارنة

ومن الشعراء الذين ولدوا في المنامة عام 1930، تقيّ محمد البحارنة، وهو شاعر وكاتب وعمل في السلك الدبلوماسي، فضلاً عن كونه باحثاً في الأدب وفي الاقتصاد ورجل أعمال. وكان شغل مناصب رسمية، في جامعة الدول العربية، ومجلس الشورى البحريني، ولجنة الشؤون الخارجية. كما نال أوسمة وجوائز منها وسام الاستحقاق المصري، ووسام الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، وجائزة الدولة للعمل الوطني، وله مؤلفات، منها: بنات الشعر، في خاطري يبكي الحنين، في الفجر تضيء الكلمات، ونادي العروبة، ومن شعره الوطني، قوله:

حتّى إذا هاجَ الحَنينُ
بِخاطِري.. وبَكى طَويلا
بادَرْتُ يا وَطَني إلَيْكَ
فَلَمْ تَكُنْ عَنّي بَخيلا
ونَهَلْتُ حُبَّكَ مَوْرِداً
عَذْباً، ومَاءً سَلْسَبيلا

شعراء الجيل الحالي

أما شـعراء الجيـل الحالي، فتزخـر المنامة بأسـماء كثيرة لا يمكـن حصرها فـي مبحث قصيـر، ولكنها فـي مجملها، قد اسـتطاعت أن ترسـم قصائدها علـى جدران المدينـة، بألوان مـن المعاني والرؤى، ويمكن أن نختـار بعض النماذج هنا، وأن نذكر منها: الشـاعر علي النهّام، الذي يتقن سبك صوره الشعرية بإتقان شـفيف، كما يتقن اسـتخدام المجازات وصـور الطبيعة ورؤى الـذات، فعلى سـبيل المثال... يصف علاقته بالشّـعر في نصّ من نصوصه، فيقول:

إنْ مـاتَ فيَّ مَجـازٌ سَـوفَ تَعْبرُني
مـن المَجـازاتِ أنْهـارٌ لِتُحْييـني
أو انْتَبَـذْتُ قَصِـيَّ القَوْلِ مِـنْ وَجَعٍ
قِيامَةُ الشِّـعْرِ قامَتْ في شَـرايِيني
يُعَرْبِـدُ البَـوْحُ في ذاتي ويَسْـلِبُني
صَوْتي ويَسْـكُبُني عَذْبـاً فأرويني
سَفينَتي الشِّـعْرُ والأحْلامُ أشْرِعَتي
ووُجْهَتـي حَيْثُمـا الأمْـواجُ تُلْقيني

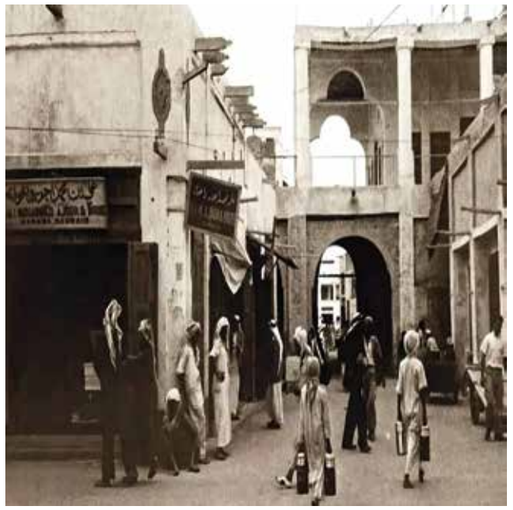

المنامة قديما

الحديقة المائية في المنامة

أما الشـاعرة سوسـن دهنيـم، فتتقن جعـل نصوصها تفيض عذوبة وتتناهى عمقاً، إذ تكتب بلغة رشـيقة، تمطر في سـطورها الرقة والعاطفة فتنمو زهور المشـاعر برَّاقة وندِيَّة، وتطرّزها بقوة الدلالات والإحالات التي تجمع بين السلاسـة والبلاغة، فتقول في إحدى قصائدهـا التي تصف فيها أحوال العشـاق، ونقاء قلوبهم ومشاعرهم:

العاشِـقونَ تَناهَـوْا فـي الحِكاياتِ
مُـذْ جَرّبوهـا انْتِصـاراً لِلْجميلاتِ
إذْ يَحْلُمـونَ لَدَيْهِـم ألـفُ مُعْجِـزةٍ
تَجـيءُ تَنْـثرى على رُغْـمِ البَلاءاتِ
يَسْتَأنِسـون كأنَّ الصَّعْـبَ لُعْبَتُهـم
عَيْنٌ على الأرضِ.. أخْرى للسَّماواتِ
لَمْ يَعْرِفوا اليَـأسَ تَيّاهونَ يَحْمِلُهم
شَـوْقٌ إلى الأمَلِ المَخْبوءِ في الآتي

أما الشـاعر سـيّد أحمد العلوي، الذي يقـدم تجربة إبداعية ذات عمـق، فتترصع نصوصه بالمناجـاة الروحية العميقة، ويتقن الإمساك بناصية الصور المبتكرة، مثلما جاء في قصيدته «قميص مبلّل بالخطايا»، التي يقول فيها:

كَمْ كنتُ قُفْلاً صَديئاً لَيسَ يَفْتَحُني
إلّاكَ حيـنَ تَبثُّ الضَوْءَ مِـنْ ثُقُبي
ذاتـي مُعَلَّقـةٌ فـي خَيْـطِ رَحْمَتِهِ
أهـزُّ غَيْمتَـهُ فـي أفقِـهِ الرَّحِـبِ
كأنّنـي ..قَرْيةٌ أشْـجارُها انْكَسَـرَتْ
فَقُمْـتُ ثانيـةً أنْمـو مَـعَ العُشُـبِ
وأسْـتَحِمُّ بِطُهْـرِ الغَيْـبِ يَغْسِـلُني
رَيْبُ المَنونِ بما يَهْمي مِن السُّـحُبِ

والشاعر الشاب حسن عابد، الذي يقدم تجربة لها خصوصيتها، فيكتب صوره بلغة حماسية وقوية، ويستحضر في تجربته كثيراً من الإحالات المميزة، التي تمزج بين مختلف رؤى الحياة، ومن شعره ما يصف فيه «الشاعر»، فيقول:

هَجـرَ المَرايـا واسْـتَعارَ خيوطَهـا
ومَضـى يُفصِّـلُ بسْـمَتيْنِ لأهْلِـهِ
مَهْمـا يَسـيرُ إلـى السَّـماءِ يشـيرُ
للأرْضِ البَعيدةِ لَـمْ يغِبْ عنْ أصلِهِ
ولِذا..علـى طُهْـرِ السَّـماءِ ودرْبِهـا
مـا زال يَخْطـو فـي الهَـواءِ بنعْلِهِ

وأخيراً، فـإن علاقة «المنامة» بالشّـعر، لا يمكن أن تختصر في ما كتب عنها من قصائد أو من عاشـوا فيها من شعراء فقط، إنما كانت علاقتها بالشـعر دائماً علاقة البحر بالموج، والسـماء بنجومها؛ إنّها علاقة تكامل وتبادل وانبعاث وإلهام.

تميزت بتنوّع إنسـاني متفرّد، وحركة إبداعية دائمة

شفيع الخلق

طلال الجنيبي
الإمارات

بأيِّ حُروفِ الضّادِ شِـعْري سَيُشْرِقُ ... وأيِّ مَعاني الضَّوْءِ سَـرْدي سَيُبْرِقُ
وأيِّ حُـدودٍ لِلـدّلالاتِ نَرْتَقـي ... مَجـازاً بِـهِ نَرْتـادُ وَصْفـاً يُحَلِّقُ
بِبَـذْلٍ كَريـمٍ يَغْمُرُ الكَـوْنَ نورُهُ ... لأحْمَدَ خَيْرِ الخَلْقِ يَسْري ويَسْبِقُ
لِيَبْلُغَ مِنْ تِلكَ السَّماواتِ سَـقْفَها ... ويَنْفَذَ حَيْـثُ الحَدُّ بالحَدِّ يُطْبِقُ
فَتَتَّسِـعُ الآفـاقُ مِـنْ بَعْـدِ ضيقِها ... وتَشْتَعِلُ الأشْـواقُ والقَلْبُ يَخْفِقُ
كَسَـهْمٍ رَشـيقٍ فارَقَ القَـوْسَ عَلَّهُ ... يَنـالُ الّذي ناداهُ عِشْـقاً فَيَصْدُقُ
وتَكْتُبُ مـا لا يَمْلِكُ الحَرْفُ خَطَّهُ ... لِيَلْتَئِـمَ المَعْنى وبالرّوحِ يُشْـرِقُ
رَذاذُ هُطولِ الشِّعْرِ مِنْ غَيْمِ فِكْرَتي ... يُبَلِّـلُ عَقْـلَ العاشـقينَ ويُغْـدِقُ
بِكُلِّ الّـذي لا يَمْلِكُ القَـوْلُ قَوْلَهُ ... وكُلِّ الّذي بالنَّفْحِ لِلْحُسْـنِ يُنْشَقُ
كأنَّ عُطورَ الكَـوْنِ باعَتْ عَبيرَها ... لِتُذْكي بِـهِ فَوْحاً لِعودٍ سَـيُحْرَقُ
فَيَسْـكُبُ فـي روحِ المُحِبّينَ لَهْفَةً ... يَلوحُ بها عِشْـقُ الرّسـولِ فَتُشْفِقُ
هو البابُ لِلْإحْسـانِ مِفْتاحُ خَيْرِهِ ... ومَنْ زارَ أبْوابَ الحَبيبِ سَـيَطْرُقُ
وهَـلْ مِثْلُـهُ خَلْقٌ عَظيـمٌ يقولُها ... بِمُحْكَمِ آيِ الذِّكْرِ مَنْ شـاءَ يَخْلُقُ
هو المُصْطَفى العَدْنانُ مَنْ غَيْرَهُ تَرى ... يُصَلّـي عَلَيْهِ اللهُ والكَوْنُ يَعْشَـقُ

مما خبأته الأبجدية

ياسين محمد البكالي
اليمن

في الأبْجديةِ لا مَعْنى لِمَنْ ضَحِكوا ... إنْ لَمْ يكونوا خِفافاً حَيْثُما سَـلَكوا
أنْ يَرسُموا في البَعيدِ الصَّعْبِ جَنَّتَهُم ... كَيْ يَدْخُلوها كِراماً بَعْدَ أنْ هَلَكوا
هذا هـوَ الشَّـغَفُ المُنْسَـلُّ أخْيِلةً ... لا يَسـتَلِذُّ بـلا تَحْقيقِهـا مَلِـكُ
كأنْ يُرَفْـرِفُ قَلْبـي لِلّتـي نَظَرَتْ ... إلَـيْـهِ ثُـمَّ يُغنّـي ثُـمَّ يَـرْتَـبِـكُ
كـأنْ أُحِـبُّ فـتـاةً ثُـمّ أتـرُكـهـا ... تُحدِّثُ النّاسَ عَنْ خَيْباتِ مَنْ تَركُوا
كأنْ أَعودُ لِشُـبّاكِ التّذاكرِ والزُوّارُ ... قَـد أغْلَقـوا الشُـبّاكَ واشـتَبَكوا
كأنْ أُحـاولَ أنْ أعْفـو فَتَمْنَعُنـي ... الشّكْوى التي باسمِها الأوطانُ تُنتَهَكُ
كأنْ.. وأرجـعُ مـن غَيِّـيْ إلى رئتي ... مُهَـرْولاً بيـنَ مـا أرْجـو وأمتَلِكُ
دَيْـنُ المُحِبِّينَ لا يُقْضى يَقولُ دَمي ... وأسـوأُ الدَّيْـنِ دَيْنٌ صادَهُ الشَّـرَكُ
يـا أُمَّهـاتِ المَعانـي لا مُفاجـأةً ... يَطْفو الحَنيـنُ إذا لَمْ يَغتَلِ الدَّرَكُ
يُحْكى عنِ الحالِ أنْ لا شيءَ يُقلقُهُ ... وأنّـهُ فـي ابْتـلاعِ الرّيـقِ مُنهمِكُ
يُحْكَى .. ويَنْبُتُ في الرّؤيا فلاسِفةُ ... تَطايـروا بَيْنَ ما لَمّوا وما سَـفَكوا
الشّـاردونَ معَ الأشْـجانِ ما اتَّفَقوا ... إلّا علـى أنَّ رأسَ الحَرْبـةِ الضَّنَكُ
وَضَعْتُ في سَلّةِ الوَقْتِ الهُدوءَ فما ... نِلْتُ الذي شِـئْتُهُ، فالوَقْتُ مُعْتَرَكُ
إنّي لِكي أتلاشَـى في الأسى وَقَفَتْ ... رُوحي على يَدِهـا، عُقْباكَ يا فَلَكُ
كُنْ في انتِظارِكَ في وِسْعِ القِطارِ بأن ... يُواصِلَ المَشْـيَ مَهْما طالتِ السِّكَكُ

القلق

مصعب علي اشكر
العراق

زَمـانـانِ، مَـرَّ الـقَـديـم مُـرورَ ... السُّـؤال علـى هَيْبَـة الجاهِـلِ
ومَـــرَّ زَمـــانٌ بـه كُـلُّ بـابٍ ... يُـــؤدّي إلـى هـاجِـسٍ عـاطِـلِ
زَمـانـان والـثّـالـث المُـفْـتَـرى: ... زَمـــانٌ مِـنَ الـقَـلَـق السّـائـلِ
لِـعَـيْـنـكَ هـذا اليَـقـيـنُ الـذي ... يُـشَـكِّـكُ فـي سَـعْـيـكَ العاجِلِ
وباسْـمِك هـذا اليَقيـن الـذي ... بِـهِ لَـسْـتَ بـالـشّـارب الآكِـلِ
يَـدٌ تُـمْـسِـكُ الـرّيـحَ ظَـنّـاً وما ... مُمْسـك الرّيحِ بالْمُمْسِكِ الفاعِلِ
وتَـمْـضـي إلـى آخِـرٍ لا يـرى ... تَـــراه ابْـتـــداءً لِـمـا لا يَلي
فَهَـل غَيْمةٌ وهـي تَحْـت الثّرى ... تَـرى مَـطَـر الـحَـدَق الـذّابـلِ
وهَـلْ ثَـمَّ في الـرّوح رُكْـنٌ نَـدِيٌّ ... تَـفَـلَّـتَ مِـنْ رُكْـنِـهِ الـقـاحِـلِ
زَمـــانٌ كَـهـذا الـذي أنْـت فيهِ ... يُـمَـنّـيـك بالمُـنْـتَـفـي الحاصِـلِ
ويَـذْرَعُ صُبْحـاً مَريـرَ الطُّلـوعِ ... فَـمـا أنْـت بـالـذّاهـبِ الـواصِـلِ
سَـوادٌ بَياضُـك، حَيْـث البَياض ... وقـــوفٌ عـلـى قَـــزَحٍ زائـلِ
تَظَـلُّ الحَقيقَـة وهـي تَـدورُ ... تَـــدور تَـــدورُ بـلا طـائـلِ
فَـقُـلْ لِـلْـجـداراتِ شُـكْـراً إذا ... تَحَـرَّرْتَ مِـنْ سِـجْـنِكَ الدّاخلي
وعُـــدْ لِـلْـوَراء قَـلـيـلاً تَـرى ... عُـيـونَ الـنّـدامـى بِـلا عـائـلِ
زَمانُـكَ هـذا وأنْـتَ الغَريـبُ ... زَمـــانٌ مِـنَ الـقَـلَـقِ الـسّـائـلِ

الأَلــواح

حسن إدريس
ليبيا

أَنْسَـابُ شِـعْراً كما لَوْ لَمْ أَكُنْ بَشَـرا ... أُلْقِي عَصـايَ؛ لَعَلِّـي إنْ فَعَلْتُ أَرى
فِي ساحِلِ اليَمِّ، شَوْقي.. جَذْوَتي، قَبَسي ... وكُنْـتُ أَرْقُـبُ، أَسْـعى، أَقْتَفِي أَثَرا
مُسـافِراً في دُرُوبِ الرُّوحِ، أَسْـأَلُني: ... هَلْ سافَرَ الجِسْمُ، أَمْ كانَ الهُدى سَفَرا
أَسْـرِي وأَبْحَثُ فِي أَلْـواحِ مَنْ وَقَفوا ... حَتَّى وَقَفْتُ بِطَيْفٍ مِنْكَ فِيَّ سَرى
رَأَيْـتُ فِي الطَّيْفِ سِـرّاً لَيْسَ يَعْرِفُهُ ... إِلَّا شَـرِيدٌ بِبَحْـرٍ مـا، رأَى جُـزُرا
وسـارَ يُبْحِرُ بِـي فِي المَـوْجِ، أَتْبَعُهُ ... لَكِـنَّ سَـيْرِيَ فِـي زَلَّاتِـهِ عَثَـرا
أَدْرَكْتُهُ فِي سُـجودِ اللَّيْلِ، فَانْطَفَأَتْ ... مِنِّي الذُّنُـوبُ، كَأَنَّ الحُبَّ لِي غَفَرا
أَكْمَلْـتُ دَرْبِـي وزادِي أَنَّنِـي كَلِـفٌ ... حَمَلْتُ فِي صَدْرِيَ الآياتِ والسُّـوَرا
بِهـا مَشَـيْتُ فَما أَخْشَـى؟ وقُلْتُ: بِها ... سَأَفْرُقُ البَحْرَ، أَسْتَسْقِي بِهَا الحَجَرا
في هَدْأَةٍ مِنْ سُـكُونِ اللَّيْلِ، تَسْأَلُنِي ... عَنْكَ الدُّرُوبُ: أَنُوراً كُنْتَ أَمْ بَشَـرا
مُحَمَّـدٌ، واسْـتَنارَتْ كُلُّ مُظْلِمَـةٍ ... أَكُنْـتَ تَنْثُـرُ لِلْمِصْبـاحِ مـا نَثَـرا
أَضاءَ حُسْـناً، سَطا حِلْماً، يَذُوبُ حَيا، ... أَشَعَّ صِدْقاً، سَما طُهْراً، يَفِيضُ قِرى
لا ما رَحَلْتَ فَفِـي الطُّوفانِ لا جَبَلٌ، ... وكانَ هَدْيُـكَ لِي الأَلْواحَ والدُّسُـرا
أَوْدَعْـتُ قَلْبِيَ طَيْفاً مِنْكَ يُؤْنِسُـنِي ... سِـيَّانِ عِنْدِي بِهِ مَنْ غابَ أَوْ حَضَرا
وكانَ حُبُّـكَ لِـي غَيْمـاً يُظَلِّلُنِـي ... يَسْتَمْطِرُ الشَّوْقَ، لا يَسْتَمْطِرُ المَطَرا
فِي مَدْحِكَ اليَوْمَ غِيضَتْ كُلُّ قافِيَةٍ ... وظَـلَّ وَصْفُـكَ بِالجُـودِيِّ مُنْتَظِرا

حضر في مهرجانات ومسابقات أدبية كثيرة
الشاعر إبراهيم توري: تشهد السنغال في الآونة الأخيرة صحوة شعرية عربية

أحمد منصور
مصر

الشاعر السنغالي إبراهيم توري واحد من أبرز الأصوات الشعرية الشابة التي لفتت الأنظار في الأوساط الثقافية العربية بإتقانها المميز للغة العربية. مسيرته الشعرية حافلة بالمشاركات المميزة، تألق في مهرجان الشارقة للشعر العربي 2024، وحصد مراكز متقدمة في أكثر من مسابقة شعرية. في هذا الحوار يكشف توري، عن رحلته الشعرية، ورؤيته للوضع الثقافي في وطنه السنغال، وأهمية ترجمة الشعر، وتجربته في المهرجانات الإبداعية.

• أولاً حدثنا كيف اكتشفت موهبتك في كتابة الشعر؟

- من الصّعب دوماً الكلام عن البدايات، عن الشرارة الأولى، عن زمن ما قبل التهام التفاحة.. كل ما هنالك أنّ الأمور تبدأ تلقائية، ثم تتبلور شيئاً فشيئاً.. فكرة أن أدّعي أنّني، في وقت ما، وبطريقة ما، اكتشفت أن لديّ موهبة في كتابة الشعر قد تبدو لي سهلة، لكن ما أتيقن منه وأجزم به، هو أنّني كنت طفلاً معبّأ بغاز الشعر - إذا استعرت تعبير بورخيس، وهذا الغاز كان لا بدّ أن يشتعل في وقت أو آخر. فقد نشأت على حبّ كل كلام سويّ جاء على نسق محدّد؛ كنت أحبّ الأناشيد التي تعلمتها في روضة الأطفال، وما زلت حتى الآن أحفظ كثيراً منها، وكنت أحب القرآن الكريم الذي حفظته وأنا ابن تسع سنين، وكان يعجبني هذا التناسب البديع الموجود بين فواصله وآياته. كما كنت أحبّ الأغاني الشعبية، وأعشق نغمات الطبول التي تدفّ لمحترفي رياضة المصارعة السنغالية نهاية كل أسبوع. بل كنت أتقن ترديدها والرقص على إيقاعها، وكم حدثتي أمي أنني - وأنا طفل- كنت راقصاً ماهراً.. كل هذه العوامل المبكّرة، إلى جانب انهماكي في قراءة الأدب العربي وحفظ كثير من جيد شعره ونثره، خاصة في المرحلة الإعدادية، جعلتني أقول الشعر، وبسهولة، في أول احتكاك لي بعلم العروض، وكان ذلك سنة 2014.

• هل حفظك القرآن وأنت في التاسعة، ساعدك على إتقان اللغة الشعرية؟

- يمكن لي قول ذلك، فالقرآن - وإن لم يكن شعراً- فإنه مرجع ثريّ للشعراء عكفوا عليه منذ فجر الإسلام، ونهلوا من ألفاظه ومعانيه البديعة. ونعرف جميعاً - كما أثبتته دراسات كثيرة - مدى تأثير القرآن الكريم في كبار شعراء العصرين الأموي والعباسي ومن بعدهم.

• نعلم أن العربية في السنغال ليست اللغة الرسمية؛ فكيف تعلمتها وتمكنت من قواعدها، لدرجة أنك تُدرسها للناطقين بغيرها؟

- أولاً أعترف أن الفضل في تعلمي للغة العربية، يعود في المقام الأول إلى كوني ولدت في أسرة دينية تهتم بالثقافة الإسلامية التي تعدّ اللغة العربية بوابتها الرئيسة، فكان طبيعياً أن يختار لي أبواي الانخراط في أحد الكتّاب لحفظ القرآن، ومن ثم تعلم العلوم الدينية والعربية. وهنا لا بدّ من التذكير بأن نسبة قد لا تقل عن ثلاثين في المئة من السكان في السنغال، تتقن العربية قراءة وكتابة. وحضور العربية في السنغال وغيرها من دول غرب إفريقيا المسلمة، يعود إلى وقت مبكّر يتزامن مع فترة دخول الإسلام في هذه المنطقة، وقيل قبله؛ الأمر الذي يجعل وجود أناس تضلعوا في العربية وأتقنوها أيّما إتقان في هذه البلدان شيئاً طبيعياً جداً.

توري مع الشاعرين ابراهيم حلوش وأبو فراس بروك

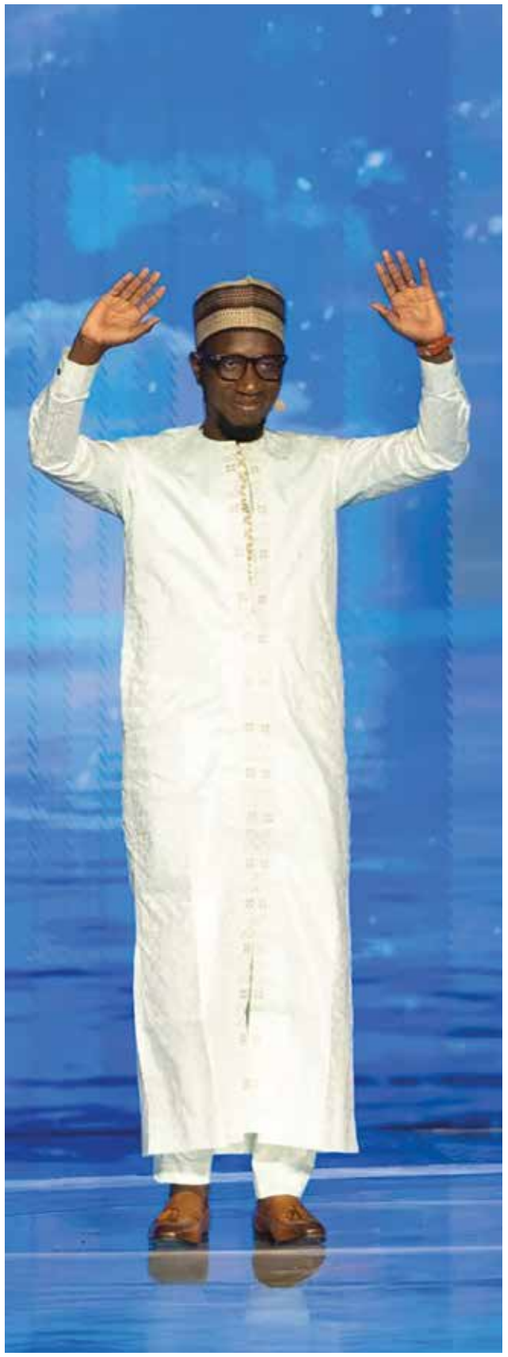

أحــبّ القــرآن الكريــم الــذي حفظته وأنا ابن تسع سنين

• المكانة الشعرية في السنغال، هل هناك إنجذاب نحو هذا الفن الإبداعي والاهتمام به؟

- ســأقول لك طرفة جميلة، أول رئيس ســنغالي كان شاعراً، بل هو من كبار شــعراء القرن العشــرين الذين كتبوا بالفرنسية، ومن روّاد أدب الزنوجة؛ إنه ليوبولد سيدار سينغور.. فالسنغال دولة حتى حكامها شعراء، إذن نعم هناك انجذاب قوي نحو هذا الفن الإبداعي والاهتمام به من السنغاليين، بدءاً ممّن كتبوا باللغات المحلّية، مروراً بالذين كتبوا بالفرنســية، وصولاً إلى الذين كتبوا بالعربية. وتشــهد السنغال في الآونة الأخيرة - رغم قلة الدعم - صحوة شعرية عربية ربما لم تشهد مثلها من قبل، ويكفي مؤشراً على ذلك فوز جملة من الشعراء السنغاليين بجوائز عربية عالمية في الشعر.

• ما وضع الثقافة داخل المجتمع السنغالي بشكل عام، من حيث القراءة والفعاليات الثقافية؟

- الســنغال دولة تهتــم بالثقافة كثيــراً، ولها أبنــاء مثقفون من الطراز الأول، منهم من يدرســون في أكبــر الجامعات في العالم. كما أن لديها كتّاباً كباراً معروفين عالمياً سواء في الأدب وغيــره من الفنون الأخرى.. وقد يكون مــن الصعب الجزم بأن معــدل القراءة فيها مرتفع، بالرغم من كثرة الكتاب فيها ووجود عدد لا بأس به من المكتبات ودور النشــر، لا ســيما بالفرنسية، وانتشــار المجلات والصحف، لكن من المؤكد أن هناك شريحة كبيــرة مــن المجتمع تهتم بالقــراءة والثقافة بصفــة عامة.. أما ما يتعلــق بالفعاليات الثقافية فهناك الكثيــر منها أيضاً، أبرزها الدور الذي يؤدّيه بيت الكتاب السنغاليين من احتضان فعاليات كثيــرة في مقرها، منها معارض مصغــرة للكتاب، وحفلات توقيع الكتب، ومســرحيات وعروض فنية للموســيقا والرقص، ولقاءات أدبيــة ومؤتمــرات فكرية، ورعايــة جوائز أدبيــة، وتكريم أهم الكتــاب الأفارقة، وغيرها من الأنشــطة. كما يوجــد نادٍ للأدب الســنغالي المكتوب بالعربية ينظم بين الفينة والأخرى أنشــطة ثقافية، كالأمســيات وحفلات تكريم الفائزين بجوائز عالمية من أبناء الســنغال.. إلى جانب الملتقى السنوي الذي ينظمه النادي برعاية حكومة الشارقة ودائرة الثقافة.

• بما أنك تتقن الفرنســية وهي اللغة الرسمية في السنغال، إلى جانــب تمكّنك من التحــدث بالإنجليزية؛ هل تفكر في ترجمة قصائدك التي تكتبها بالعربية لنقلها إلى الغرب؟

السنغال

- بالتأكيــد أفكر في ذلك، فأيّ كاتب يرغب في الحصول على جمهور أكبر من القرّاء، حتى تصل رســالته إلى العالم، فلا شــك في أن من مشــاريعي الخاصة ترجمة أعمالي إلى اللغات الأخرى الحية. بل أفكر في الكتابة والإبداع بالفرنسية والإنجليزية؛ وهنا لا بدّ من القول إن أولى محاولاتي الشعرية كانت بالفرنسية.

• ماذا عن مشاركتك في مهرجان الشارقة للشعر العربي بدورته العشرين؟

- أنا ممّن يؤمنون بأن الشــعراء - خاصة الشــباب - يحتاجون إلى المشــاركة في مثل هذه النشــاطات الأدبية، مرة في الســنة على الأقل، حتى يحسّــوا بقيمة مواهبهم، وحتــى تكتمل قدراتهم الإبداعيــة والفنيــة، لأنها فرصــة للاحتكاك بالمحيط الشــعري الحقيقي؛ وحاجة الشاعر إلى هذا المحيط لا تقلّ البتة، عن حاجة الحوت إلى البحر. ومهرجان الشــارقة للشعر العربي واسطة عقد هذه النشاطات الأدبية، أســبوع كامل ترفل فيه في مدينة شاعرة حدّ الشــارقة، مع نحو سبعين شــاعراً وناقداً وناشطاً ثقافياً، من مختلــف الدول وبرامج مكثفة كلّها تصب في قالب الفن والإبداع. لا شــكّ في أنها تجربة فريدة يخرج منها الإنسان رابحاً إلى أبعد الحدود؛ فالشكر كل الشكر لصاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاســمي، حاكم الشــارقة على أياديه البيضاء في هذا الخصــوص، ولكل القائمين على المهرجــان، دائرة الثقافة، وبيت الشــعر. إن هذا المهرجان بحق مرآة تســع جميــع الوجوه الأدبية والإبداعية الفنية، حيث شارك في تلك الدورة، وربما في الدورات التي ســبقتها، إلى جانب كوكبة مميزة من الشعراء، نقاد وممثلون مســرحيون وإعلاميون وناشــطون ثقافيون مــن مختلف الدول، داخل الوطن العربي وخارجه.

جائزة القوافي فضاء لاكتشــاف المواهب الأدبية

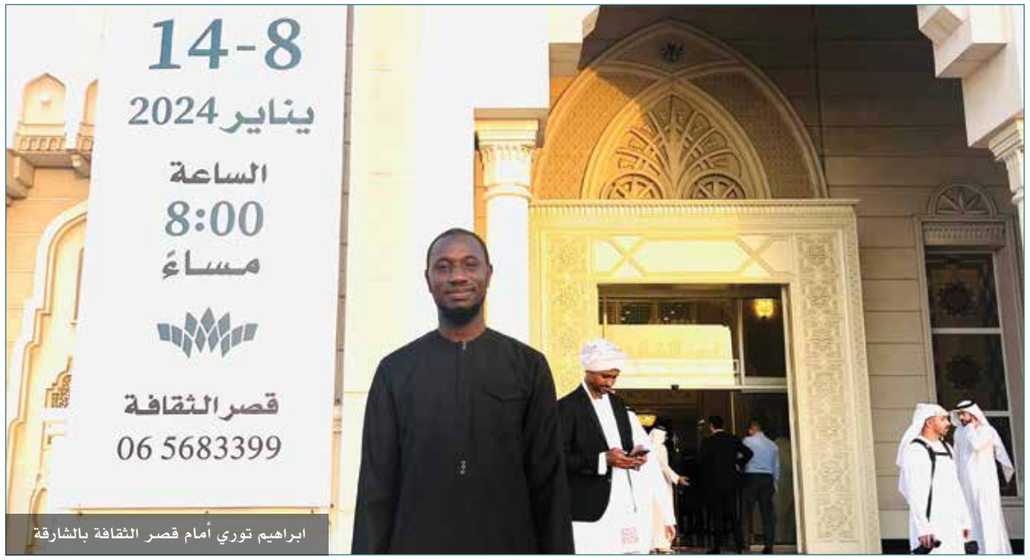

ابراهيم توري أمام قصر الثقافة بالشارقة

• مـا مدى أهمية التنافسـية ولقاء عدد كبير من الشـعراء من مختلف الجنسيات، في مهرجان للشعر العربي؟

- شـيء أساسـيّ ومهم في تطوير موهبة الشاعر، حيث إنها فرصة لتبادل التجارب والاطلاع على منجزات الشعراء من مختلف

أول رئيس سـنغالي كان شاعراً وكتب باللغة الفرنسية

الـدول؛ وأذكر في هذا المقـام أنني عدت بحقيبـة كبيرة ملأى بدواوين بعض الأصدقاء الشـعراء الذين التقيتهم في المهرجان، فلهـم مني الشـكر الجزيل. كما أنّ المهرجـان فرصة للكلام عن وضع الشـعرية العربيـة وآفاقها، وطرائق الحفـاظ عليها، وأمور أخرى قد لا يتّسع المقام لذكرها.

• هل ترى أن المسـابقات والجوائز، مثل جائزة القوافي، تشجّع الشعراء على مواصلة مشوارهم الإبداعي؟

- بالتأكيد الجوائز والمسـابقات الأدبية، مثل جائزة القوافي، ظاهـرة مهمة في التجـارب الإبداعيـة أخيراً، فهـي أولاً فضاء لاكتشـاف مواهب أدبية، وتتويج لمسـيرات فنية حافلة. كما أنها مصدر عيش لدى كثير من الشـعراء، خاصة أن الشـعر من أكثر الفنـون غيرة، حيـث يكاد لا يقبل بغيره من الانشـغالات الحياتية الأخرى.. ومن هنا، كان وجود هذه الجوائز مهرباً روحياً للشـعراء والأدباء عموماً، ومحفّزاً كبيراً لهم للاستمرار في عملية الإبداع.

• ما آخر أعمال الشاعر إبراهيم توري؟

- أنـا حالياً بصدد العمل على إصدار ديواني الأول، وأرجو أن يرى النور قريباً ويصل إلى ذوق الجماهير الأدبية.

أسراب الضوء

إبراهيم توري - السنغال

عَلـى بَرِيـقٍ مِـنَ الآمَـالِ قَـدْ باتُـوا ... لَـمْ يَأْفُلِ الغَيْمُ كَيْ تُنْسَـى السَّـماواتُ

مُـضَـرَّجِـيـنَ بِـمـاءِ الـرُّوحِ أَوَّلَـهُـمْ ... نَـصُّ الـحَـيـاةِ وخَـانَـتْـهُـمْ مَـجـازاتُ

تَـنَـبَّـأُوا صِـبْـيَـةً مـا ثَـمَّ مُـعْـجِـزَةٌ ... إِلَّا الـخَـسـاراتُ تَتْلُوها خَـسـاراتُ

وحـيـنَ يَـنْـدُبُـهُـمْ شَـيْـخٌ وحِكْمَتُهُ ... يَـسُـرُّهُـمْ أَنَّ مـا هُـمْ فِـيـهِ مِيقاتُ

تَسَـوَّرُوا لَوْحَةَ الأَشْـياءِ حِـيـنَ طَغَتْ ... حَدَّ الصَّـدى.. حَدَّ أَنْ فَاضَـتْ حِكاياتُ

ومِثْلَمـا الظِّـلُّ يَزْهُـو مِـلْءَ أُحْجِيَـةٍ ... أَتَـوْا رَمـاداً فـآوَتْـهُـمْ خُـرافـاتُ

سـامَرْتُهُمْ لَيْلَـةً.. يـا طَقْسَ مَجلِسِـهِمْ ... بَـراءةٌ، دفءُ أُنْـثـى، وانْـكِـساراتُ..

توزَّعـوا فـي خَرِيـفِ العُمْـرِ واتَّهَمُوا ... وَجْـهَ الرَّبِيعِ.. فَـلا عاشُـوا ولا ماتوا

لَوِ اطَّلَعْتَ علَيْهِمْ - سَـيِّدِي - انْبَجَسَتْ ... فِيـكَ الـرُّؤى ولَحَفَّتْـكَ النُّبـوءاتُ

هُـمْ كلُّ مـا فِـي التَّكايـا مِـنْ مُكابَدَةٍ ... هُمْ سِـيرَةُ «الكَهْفِ» تَحْـدوهُ الكَراماتُ

وثَـمَّ تَـنْـهِـيـدَةٌ، صَـمْـتٌ، وأُغْـنِـيَـةٌ، ... وثَـمَّ مِـنْ شَـجَـرِ الأَحْـزانِ غـابـاتُ

وثَمَّ لَـوْحٌ مِـنَ الأَحْـلامِ قَـدْ حُفِظَتْ ... فِيـه السَّـعاداتُ، بَـلْ فيه الشّـقاواتُ

وثَـمَّ عُـكّـازَةٌ.. مـا إِنْ تَمَسَّكَها ... شَـوْقُ الوُصـولِ.. أَذابَتْهـا المَسـافاتُ

وثَـمَّ - يا سَـيِّـدِي- أَدْهَـى سـأَذْكُـرُهُ: ... سَـيْـلُ الـحَـيـاةِ.. تَـحَـدَّتْـهُ الفَراشاتُ

بدائع البلاغة

وئام المسالمة

المقابلة هي أسلوبٌ بلاغي يُستخدم في كُلٍّ من الشِّعر والنَّثر، وقيل إذا جاوز الطِّباق ضِدَّين كان مُقابلة.

يُوظَّف هذا الأسلوب لإبراز التَّباين بين المعاني المُتضَّادة على الترتيب بحيث يقابل كُلُّ معنىً ضِدَّه، وهذا يمنح النصَّ وضوحًا وقوةً في المعنى، ويضيُف إليه جمالًا بلاغيًا مائزًا.

ومنه قول الإمام عليّ بن أبي طالب:

إذا جادَتِ الدُنيا عَلَيكَ فَجُد بِها
عَلى النَّـاسِ طُـرّاً إِنَّهـا تَتَقَلَّبُ
فَلا الجُـودُ يُفنِيها إِذا هِيَ أَقبَلَت
وَلا البُخلُ يُبقِيها إِذا هِيَ تَذهَبُ

وهنا يتحدَّث الإمام عليّ عن الدنيا وتقلباتها مستخدمًا ثلاثة أضداد مُتقابلة، فـ(الجُود) يقابله (البُخل)، و (يُفنيها) يقابلها (يُبقيها)، أمَّا (أقبلتْ) فيقابلها (تذهبُ). إذ يُشير إلى أنَّ الجُـود والبَذْل لا يمكن أنْ يزيد من عمرها عندما تُقْبِل، ولا البُخل والشُّح يبقيها عندما تقرّر الرَّحيل.

ومثله قولُ أبي تمَّام:

يا أُمَّةً كانَ قُبْحُ الجَوْرِ يُسْـخِطُها
دَهْرًا، فَأَصْبَحَ حُسْنُ العَدْلِ يُرْضِيها

يعكـس البيت تحـولًا جذريًا في حال الأمـة؛ فقد كانت غاضبة من قبح الجَور، لكنَّها أصبحت راضيةً بفضل حُسـن العَدل.

فالمقابلة هنا تقع بين (القُبح والحُسن)، (الجور والعدل)، (السخط والرضا).

فقد أبرز هذا البيت باستخدام فنّ المُقابلة جمال التَّغيير من الظُّلم إلى الإنصاف بأسلوب بليغٍ ومؤثر.

وكذلك قولُ جرير:

وَبِاسـطُ خَيـرٍ فيكُـمُ بِيَمِينـه
وَقابِـضُ شَـرٍّ عَنكُـمُ بِشِـمالِهِ

يصوّر البيت شخصية قياديَّة تجمع بين نشر الخير بيمينه ومنع الشر بشـماله، مسـتخدمًا أربع مقابلات بين (باسط وقابـض)، (خير وشـرّ)، (فيكم وعنكم)، (يمين وشـمال)، ليوحي بالتوازن بين العطاء والحماية.

ومثله قولُ ابن حجة الحموي:

قابَلْتُهُمْ بِالرِّضا والسِّلْمِ مُنْشَرِحًا
وَلَّوْا غِضابًـا، فَوَا حَرْبِي لِغَيْظِهِمُ

تقـع المقابلة هنـا بيـن (قابلتهم و ولَّـوا)، و(الرضى والغضب)،

و(السِّلم والحرب)، و(الانشراح والغيظ).

فالبيت يجسّـد تناقضًا عجيبًا مُبرِزًا التباين بين السلام والانفعال، ما بين هدوء الشـاعر وتسامحه بالرضا والسِّلم، وغضب الآخرين وغيظهم.

أمَّا المتنبي فقال:

أَزورُهُم وَسَـوادُ اللَّيلِ يَشـفَعُ لِي
وَأَنثَني وَبَياضُ الصُبحِ يُغْرِي بِي

يجمع أبو الطيّب في هذا البيت بين خمسة أمورٍ متضادَّة، (الزيـارة والانثناء)، (السَّـواد والبيـاض)، (اللَّيل والصُّبح)، (الشَّفاعةُ والإغراء)، (لي وبي) أي معي و عليَّ.

فهو يـزور محبوبته تحت جُنح الظلام الذي يشـفع له ويخفيـه، لكن عند بزوغ الصُّبح، يضطـر للانصراف خوفًا من أنْ يُكتَـشف أمره، إذ يغريه نور الصُّبح بالرحيل حتى لا يُفتضح سِرُّه.

ويقول الصاحب شرف الدين الأربلي:

عَلـى رَأسِ عَبدٍ تاجُ عِـزٍّ يَزينُهُ
وَفـي رِجلِ حُرٍّ قَيدُ ذُلٍّ يَشـينُهُ

فالمقابلة هنا تقع بين ستة أضداد

(على و في)، (رأس و رِجل)، (عبد و حُرّ)،

(تاج و قيد)، (عزّ و ذلّ)، (يزينه و يشينه).

يستخدم الشاعر صورتين متضادتين ليُبرز من خلالهما تناقضًـا عميقًـا بين العزّ والـذلّ، بين عبدٍ تُزينـهُ الكرامة وحُرٍّ يشـينه الذلّ، ليؤكد أنَّ العـزّ والمهانة لا يعتمدان على الحرية أو العبودية، بل على قيمة الإنسان الحقيقية ومكانته المعنوية.

وبهذا يـرى علماء البديع أنَّ المقابلـة بالأضداد أفضل وأتـمّ، وأنَّ أعلى رُتب المقابلة وأبلَغها هـو ما كَثُرَ فيه عدد المُقابِـلات، شـريطة ألَّا تُؤدي هذه الكثرة إلـى التَّكلُّف أو تُوحي به.

أبياتٌ غدت أمثالاً

وَإذا أَتَتْـكَ مَذَمَّتـي مِـنْ ناقِص
فَهِـيَ الشَّـهادَةُ لـي بِأَنِّـي كامِلُ

في هذا البيت الشهير من قصيدته، يُعبِّر شاعرنا المتنبي عن فلسفةٍ خاصةٍ في مواجهة النَّـقد السَّلبي، عندما واجه هجماتٍ حادَّة من بعض منتقديه، قابل تلك الانتقادات بثقة مُتناهية، موضحًا أنَّ ذمّ هـؤلاء لا يَنالُ من قِيمَتِه، بل يُؤكِّدُ عُلـوَّه وتفرُّده، و أنَّ مَلامَـة من لا يملكُ قَـدْرًا من التَّميُّزِ ليسـت سوى دليلٍ على كَماله، فالنَّـقد من «ناقصٍ» يُصبح شهادةً له على تَميُّزه.

فمـن خلال هذا الـردِّ البليـغ، يُظهِرُ المتنبي فلسـفتَهُ في التَّعامل مع الحَسـد والنَّـقد الهدَّام، إذ يتجاهلُ كلماتِ الحاقديـن ويرى فيها انعكاسًـا لمَحْدُودِيَّتهم وعجزهم عن فَهْمِ قَدْرِه. فهو لا يتأثر بآراء من لا يسـتطيعُ بُلوغ مُسـتواه، ويرى في انتقاداتهم تعبيرًا عن غيظٍ دفين.

إذ يُجَسِّدُ المتنبي في هذا البيت مفهوم الثِّـقة المُطلقة بالنَّـفس، داعيًا إلى التَّغافُـلِ عن الحَسـد والصُّمود أمام التَّشـكيك، وهذا يجعل كلماته دروسًا لكُلِّ من يُواجه انتقادًا غير عادل، بأنْ يجِدَ في ذمِّ الحاقدين شـهادةً ضِمنيَّةً على تَميُّزِه.

دُعابات الشُّعراء

سـأل عبد الملـك أعرابيًّا من بني عُـذْرة، ما أمدحُ بيتٍ قالته العرب؟

فقال الأعرابيّ، قول جرير:

أَلسـتُم خَيـرَ مَن رَكِـبَ المَطَايا
وَأَنْـدَى العالَمِيـنَ بُطُـونَ رَاحِ

فقال الخليفة للأعرابي: وأيُّ بيتٍ أغزل؟

قال:

- قول جرير:

إِنَّ العُيـونَ الَّتي في طَرْفِها حَوَرٌ
قَتَلْنَـا ثُـمَّ لَـم يُحيِيـنَ قَتْلانَا

ثم قال له: أيُّ بيتٍ قالته العرب أحسنُ تشبيهًا؟

فقال:

قول جرير:

سَـرَى نَحْوَهُمْ لَيْـلٌ كَأَنَّ نُجُومَهُ
قَنَادِيـلُ فِيهِـنَّ الذُّبَـالُ المُفَتَّلُ

فنهض جرير، وأخذ يُقبّل الأعرابيّ، ثمّ قال:

جائزتي للعُذريّ يا أمير المؤمنين، فقال عبد الملك:

وله مثلها من مالي الخاص.

يعد نتاج تفاعل بين تراكم التراث والتحولات التاريخية

التشكيل الجمالي في الشعر الأموي

نقلة نوعية في الانزياح عن النمطية

د. إبراهيم الشبلي

ينبثق الشعر من تشكيله الجمالي، ويتمظهر فيه عبر إدراك الملامح الجوهرية لعالم الذات والوجود، الذي يتأسس بوساطة اللغة التي تضطلع بمهمة تواصلية بين الذات والآخر، ليغدو الشعر نسيجاً جمالياً مكافئاً لمبدعه ومظهراً من مظاهر تشكُّل الوعي الشعري.

يُعَدُّ التشكيل الجمالي في الشعر الأموي نتاج تفاعلٍ بين تراكم التراث الجاهلي، والتحولات التاريخية والاجتماعية والثقافية التي شهدها العصر الأموي؛ إذ برزت الذات الشاعرة بوصفها مركزاً للإبداع، واتّسعت دلالات الصورة الشعرية، لتشمل تفاصيل الطبيعة والوجود الإنساني. وقد مثَّل هذا العصرُ نقلةً نوعيةً في الانزياح عن النمطية القبلية نحو تعبيرٍ أكثرَ فردانيةً ووعياً بالجماليات الفنية.

وقد دخلت مظاهر التشكيل الجمالي إلى كل مفاصل القصيدة الأموية، كالصورة الفنية التي أصابها ما أصاب القصيدة من نزوع نحو معانٍ طريفةٍ أسهمت التغيرات الثقافية في جعلها أكثر كثافة وأقدر على التعبير عن أحاسيس الشعراء. وقد اتسمت الصورة الشعرية الأموية بغنى الانزياحات المجازية، إذ حوَّل الشعراء العناصر اليومية إلى رموزٍ ذات دلالاتٍ وجودية، كما نجد في قصائد الغزل العذري، إذ يصوِّر قيس بن الملوّح، الحب بوصفه قوةً لا يقوى على مقاومتها حتى آخر رمق في حياته؛ يقول:

مُعَذِّبَتي أَوْرَدْتني مَنْهَلَ الرَدى
وأَخلَفْتِ ظَنّي واحتَرَمْتِ وِصالِيا
خَليلَيَّ هَيّا أَسْعِداني عَلى البُكا
فَقَد جَهَدَتْ نَفسي وَرُبَّ المَثانِيا
خَليلَيَّ إِنّي قَد أَرِقتُ ونِمْتُما
لِبَرقٍ يَمانٍ فاجِلسا عَلّانِيا
خَليلَيَّ قَد حانَتْ وَفاتيَ فاطْلُبا
لِيَ النَّعْشَ والأَكْفانَ واسْتَغفِرا لِيا
وإِن مِتُّ مِن داءِ الصَّبابَةِ أَبْلِغا
شَبيهَةَ ضَوْءِ الشَمسِ مِنّي سَلامِيا

كما يحضر التشـكيل الجمالي في الصـورة البصرية النابضة بالحركة عنـد الفرزدق، حينما يصف قسـوة الجدب الذي أصاب قومه؛ يقول:

كـأنّنـي طـالـبٌ قَـوْمـاً بجائحة
كَضَرْبـة الفَتْـكِ لا تُبْقـي ولا تَذَرُ

إن المُوات الذي يفرضه القحط يرافقه إيقاع سـريع خاطف «كضربة الفتك» التي تتماهى مع حركة الرياح الشـديدة المحمّلة بالخوف، الذي يعبّر عما حلّ بالقوم من انكسار.

وتسهم الصورة التشبيهية في تشكيل البنية الجمالية للقصيدة؛ من ذلك قول الأخطل:

والمُطْعِمُ الكَوْمَ لا يَنْفَكُّ يَعْقِرُها
إذا تلاقـى رُواقُ البَيْـتِ واللَّهبُ
كأنَّ حَيْرانَهـا فـي كلِّ مَنْزِلَـةٍ
قَتْلـى مُجَرَّدَةُ الأوْصالِ تُسْـتَلَبُ

إنَّ تقديـم النـوق الكوم «السـمينة»، أضحت سـمة ملازمة للممدوح، ولا سـيما في أيام القحط والبرد؛ إذ يشـعل ناراً عظيمة يتلاقى رواق البيت مع لهيبها لشدتها وعظمتها.

برزت الذات الشـاعرة بوصفها مركزاً للإبداع

اتّسمت الصورة الشعرية الأموية بغنى الانزياحات المجازية

وقد شـكّل الشـعراء من الجمال المادي بنيـة قصائدهم، ولا سـيما الوجه، الذي هو أول ما يلحظه الناظـر من الآخر، وتفنّنوا في تصوير موطن الحسن فيه؛ فتارة صوروه بالبدر في استدارته ونـوره، وتـارة بالشـمس في الإشـراق. وقد صـوَّر العرجي وجه المحبوبة في إشراقه بالماء في صفائه، ليغدو حجابها ليلاً ينجلي منه صباح وجهها؛ يقول:

وَجْـهٌ تَحَيَّـرَ مِنْـه الماءُ في بَشَـرٍ
صـافٍ لـه، حيـن أبْدَتْـهُ لنـا نورُ
مُبَـطَّـنٌ بِـبَـيـاضٍ كـادَ يَـقْـهَـرُه
قَهْرَ الضُّحى من صَديع الفَجْرِ مَشْهورُ

ومن مظاهر التشـكيل الجماليّ، اللغة الشـعرية التي يودعها الشـعراء رؤاهم فتغدو مثقلة بالرمز والإيحـاء؛ ويرى الجرجاني أن تقسَّم الألفاظ على رُتب المعاني، فلا يكون الغزل كالفخر، ولا المديـح كالوعيد، ولا الهجاء كالاسـتبطاء، ولا الهزل بمنزلة الجد. وقـد تميّزت اللغة الشـعرية باقتصادٍ في الألفـاظ مع كثافةٍ في الدلالة، واسـتخدام المحسّنات البديعية لجعل المعاني أكثر عمقاً. وتنقسم المحسّنات البديعية إلى لفظية (تعتمد على تشابه الألفاظ أو تناغمهـا) ومعنوية (تعتمد على تقابل المعاني أو تفاعلها). وثمة

تفاعل بين النوعين، وقد أسهم التشبيه في تزيين القصيدة وجعلها أقدر على التأثير في المتلقّي؛ لذا قد يطلب الممدوح من الشاعر أن يشـبّهه بصورة محبَّبة إلـى قلبه، من ذلـك أن عبد الملك بن مروان، قال للشعراء: تشـبِّهونني مرّة بالأسد، ومرّة بالبازي، ومرّة بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب الأشقري في المُهلَّب وولده:

بَـراكَ اللهُ حيـن بَـراكَ بَحْراً
وفَـجَّـرَ مِـنْـك أنْـهـاراً غِـزارا
بَنُـوكَ السّـابقون إلـى المَعالي
إذا مـا أعْظَـمَ النّـاسُ الخِطـارا
كأنَّهـمُ نُجـومٌ حَـوْلَ بَـدْرٍ
دَراريٌّ تَـكَـمَّـل فـاسْـتَـدارا
مُلـوكٌ يَنْزِلـون بِـكُلِّ ثَغْـرٍ
إذا مـا الهـامُ يَـوْمَ الـرَّوْعِ طارا
نُجـومٌ يُهْتـدى بِهِـمُ إذا مـا
أخُو الظَّلْماء فـي الغَمَراتِ حارا

تشـبيه المهلّب وولده بالبحر، كان أكثـر تأثيراً في نفس عبد الملك بن مروان، من التشـبيه بالأسـد، والصقر، ذلك أن معاني الاتساع والامتداد التي يمثلها البحر تمنح الصورة جمالاً غير مقيَّد؛ فالبحر أكبر من الأسـد والصقر حجمـاً، وأعظم مغزى في عمقه وغموضـه، فضلاً عن معانـي الرهبة التي يثيرهـا في نفس من يشـاهده. كما أن كعباً مدح الخليفة وأبناءه بصور متعددة كالبحر،

يحضـر عنـد الفـرزدق حينما يصف قسوة الجدب الذي أصاب قومه

والنجـوم التي تدور في فلك البدر، وهذا الأمر يشـير إلى أهمية التشبيه في تشكيل القصيدة جمالياً.

وقد يلجأ الشـاعر إلـى توظيف أنواع أدبية مختلفة، لتشـكيل القصيدة، كما نجد عند عمر بن أبي ربيعة، إذ يلبس قصيدته ثوب رسالة أرسلها إلى عُثيمة، يقول:

بِاسْـمِ الإلـهِ تَحيَّـةٌ لِمُتَيَّـمٍ
تُهْدى إلى حَسَـنِ القَـوامِ مُكَرَّمِ
وصَحيفَـةٌ ضَمَّنتُهـا بِأمانَـةٍ
عنـدَ الرَّحيـلِ إلَيـكِ أُمَّ الهَيثَمِ
فيهـا التَحِيَّـةُ والسَّـلامُ ورَحْمَةٌ
حَفَّ الدُّمـوعُ كِتابَهـا بِالمُعْجَمِ
مِن عاشِـقٍ كَلِـفٍ يَبـوءُ بِذَنْبِه
صَـبٍّ الفُـؤادِ مُعاقَبٍ لَـمْ يَظْلِمِ
ما خُنْتُ عَهْدَكِ يا عُثَيمَ ولا هَفا
قَلْبي إلى وَصْـلٍ لِغَيرِكِ فَاعْلَمي
فُكّـي أَسـيراً يـا عُثَيـمَ فَإنَّـهُ
خَلَـطَ الحَيـاءَ بِعِفَّـةٍ وتَكَـرُّمِ

ويسهم التضاد في تشكيل البنية الجمالية في الشعر الأموي، ويتمثل بالطباق وهو الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء البيت ويسمى المطابقة عند ابن المعتز؛ ومنه قول أبي دهبل الجمحي:

عَنْ يَساري إذا دَخَلْتُ من الباب
وإنْ كُنْتُ خارجاً فَيَميني

فالطباق بين «يساري» و«يميني» و«خارجاً» و«دخلت»، يمنح الألفاظ طاقة شعرية تسهم في تأسيس الجمال بيانياً عبر الإسناد والقياس اللذين ينبعان من القصدية في سعيها نحو استنباط المعنى من الظواهر، ولا سيما من الناحية الشكلية التي تتمظهر في الوصف والتشبيه.

ارتبط الجمال في الشعر الأموي بمفهوم الممارسة العميقة للغة والكشف عن الوجود، وهذا يعني أن الجمال يقوم على تأسيس المعنى، ليصبح الجمال في الوعي الشعري ذا طابع معرفي يتعالى على المعاني السطحية، ما يُسهم في الكشف عن القيمة الكلية التي يُعبِّر بوساطتها الشاعر عن كينونته؛ ومن أشكال الجمال اللغوي أسلوب الالتفات، من ذلك قول الكُميت يمدح محمد بن سليمان الهاشمي:

لِمُحمَّدٍ بَيْتٌ بناهُ بسَيْفِه
أَطْنابُ حُجْرَتِهِ النُّجومُ الكُنَّسُ
قَدْ شَذَّبَ الأَعْداءَ عَنْ عَرَصاتِه
سَيْفٌ يَمُجُّ دَماً وعِزٌّ أَقْعَسُ
وإذا تَناضَلَتِ المُلوكُ بِفَخْرِها
فِسِهامُ فَخْرِكَ كلُّهنَّ مُقَرْطِسُ

أصاب الأبيات تحول من ضمير الغائب «بناه/ بسيفه» إلى ضمير المخاطب «فخرك»، فضمير الغائب المفرد في الأبيات السابقة يشي بالجهد والتضحيات التي بذلها الممدوح، ليحقق مكانته الرفيعة التي أقامها على وقع سيوفه وسهامه التي ما أخطأت هدفها يوماً؛ إذ لم يرث الممدوح المجد والرفعة بل صنعهما بنفسه. ويسهم تحوُّل الشاعر من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب في منح اللغة جمالية تنسجم والسياق الشعري، عبر المفارقة التي أوضحها بين الممدوح وسواه من الملوك، فما حققوه لا يرتقي إلى ما حققه من مكانة رفيعة.

صور العرجي وجه المحبوبة في إشراقه بالماء في صفائه

من أطلال العصر الأموي

تسهم الصورة التشبيهية في تشكيل البنية الجمالية للقصيدة

المسجد الأموي

ومن مظاهر التشكيل الجمالي الصراع مع الزمن، الذي يؤثر في الذات، من دون أي قدرة على مقاومة آثاره، وقد عبّر كثير من الشعراء عن شوقهم إلى الماضي، سواء في الحب أو في المجد القبَلي. فقد كتب جميل بن معمر وقيس بن الملوّح، أشعاراً ملأى باللوعة والأسى على الحب الضائع، عادّين أن الزمن كان عائقاً في تحقيق أحلامهما العاطفية. كما يطلب ذو الرمة من خليلَيه أن يعوجا على دار المحبوبة زمناً افتراضياً (ساعة)، يعكس شوق الشاعر وحنينه إلى المحبوبة؛ يقول:

خَليلَيَّ عوجا ساعَةً ثُمَّ سَلِّما
عَسى الرَّبْعُ بالجَرْعاء أن يَتَكَلَّما

وأخيراً، لم يكن التشكيل الجمالي للشعر الأموي مجرد تطورٍ فني، بل كان تعبيراً عن تحولاتٍ حضاريةٍ عميقة، جمعت بين أصالة التراث وروح الحداثة، ما جعل هذا العصرَ أساساً للشعر العباسي الذي أضاف أبعاداً فلسفيةً على الرؤى والأنساق الجمالية فيه.

نافست كبار الشعراء في عصرها

ليلى الأخيلية

شاعرة الرثاء والفروسية

د. سمر زليخة

على الرغم من أن الساحة الشعرية والنقدية في التاريخ العربي كانت، في معظمها، حكراً على الرجال، فإن هناك شاعراتٍ برزنَ بقوةٍ، وتفوّقن على كثير من فحول الشعراء، ومن بينهنّ ليلى الأخيلية، التي لم يكن جمالها وحدّة ذكائها وحدهما مصدر تميّزها، بل براعتها في الشعر الذي نافست فيه كبار شعراء عصرها، حتى شهد لها بعضهم بالتفوّق والإبداع، مثل النابغة الجعدي والفرزدق، فقد قدّمها الفرزدق على نفسه، وكان أبو نواس يُعجبُ بشعرها ويحفظه. كما ضرب أبو تمّام برثائها المثل، ووصف أبو العلاء المعري شعرها بأنه حسنٌ ظاهره.

نسبُها وبيئتها

تنتمي ليلى الأخيلية إلى قبيلة بني عامر، التي كانت مشهورة بالفروسية والشعر، ما هيَّأ لها الحالة البيئية التي نمت فيها موهبتها الشعرية. عاشت شطراً من حياتها في عصر الخلفاء الراشدين، وواكبت بعض أحداثه، لذلك عدّها أبو الفرج الأصفهاني من النساء المتقدمات من شعراء الإسلام. لكنها شاعريتها ظهرت في العصر الأموي، مدحت فيه خلفاءه وحضرت مجالسهم. يُذكر في كتب الأخبار أنّها كانت تربطها علاقات جيدة بالخلفاء والأمراء، مثل عبد الملك بن مروان، والحجّاج، وكان لشعرها احترامٌ كبيرٌ في البلاطِ الأموي؛ وممّا رُويَ أيضاً أن معاوية كان يسألها الرأي في مضر ويستفتيها. وقد سألها مرةً عبد الملكِ بن مروان أنتِ التي تقولين:

أَريقَتْ جِفانُ ابنِ الخَليعِ فأَصْبَحَتْ
حِياضُ النَّدى زالَت بهنَّ المَراتِبُ
فعُفاتُه لَهْفى يَطوفونَ حَوْلَها
كما انقَضَّ عَرشُ البئرِ، والوِردُ عاصِبُ

قالت: أنا التي أقول ذلك! قال: ما الذي أبقيتِ لنا؟ قالت: الذي أبقى اللهُ لك، نسباً قُرشياً، وعيشاً رخياً، وإمرةً مطاعة.

ومن سرعة بديهتها وطلاقتها في الردّ يُذكر أنّ عبد الملك بن مروان، قال لها: ما الذي رآهُ منكِ توبة حتى عشقك؟ فأجابته: ماذا رأى الناسُ منك حتى جعلوك خليفة! وهذا يعدُّ دليلاً آخر على جرأتها في التعبير ويبرز نفوذها الأدبيّ؛ إذ إنه لكثرة المتنافسين في قول الشِّعر في البلاط، لا بدّ أن يكون صاحب الحظوةِ الشِّعرية بارعاً لكي يسبق أقرانه وينالها.

أغراض شعرها

كتبت ليلى الشعر في كثيرٍ من الأغراض، كالمدح والفخر والهجاء، وعرفت بسلاطة لسانها وقولها في الردّ على الهجاء في المساجلات الشعرية التي كانت بينها وبين الشعراء الآخرين، ويُقال إنّ بعض الشعراء كانوا يحتكمون إليها في بعض أشعارهم فتحكم بينهم. لكنّ ليلى عُرفت بعلاقةٍ عاطفية جمعتها بتوبة الحميري، ذاع صيتها بين العرب، وقد أورد ابن الجوزي سيرتها في فصل «المشتهرين بالعشق».

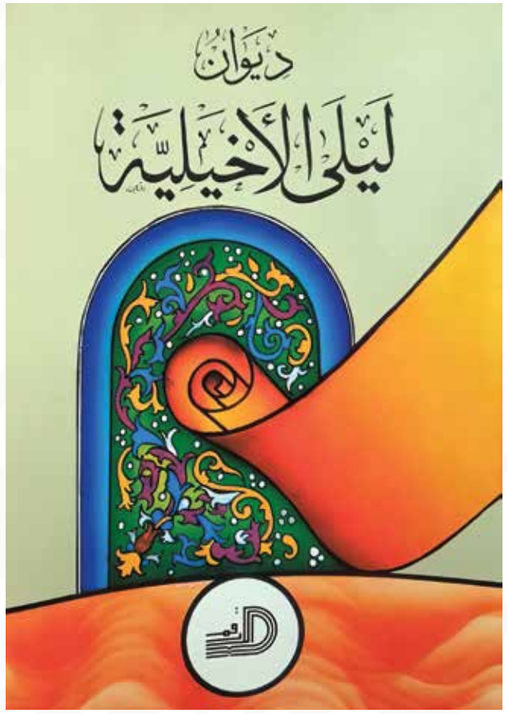

لا تهاب مواجهة أيِّ شاعرٍ مهما بلغ شأنه الشعري

كتبت في توبة الكثير من الأشعار، لكنّ أشهر ما كتبته فيه كان في الرثاء، وعُرفت بالرثاء شأنها شأن الخنساء، وقد قدّمها الأصمعي على الخنساء ومثله فعل ابن المبرّد، لكنّ شعر الأخيلية في الرثاء يمتزج بالغزل والمدح أحياناً، وقد برعت في ذلك، وأظهرت فيه عمق مشاعرها وصدق أحاسيسها، تقول:

جزى اللهُ خيراً والجزاءُ بكفّه
فتىً من عقيلٍ سادَ غيرَ مكلّفِ
فتىً كانت الدُّنيا تهونُ بأسرها
عليه ولا ينفكُّ جمَّ التصرُّفِ
فيا توبُ ما في العيشِ خيرٌ ولا ندىً
يعدُّ وقد أمسيتَ في تُربِ نفنفِ
ومانلتُ منكَ النَّصفَ حتى ارتمت بكَ
المنايا بسهمٍ صائبِ الوقعِ أعجفِ

ومن مراثيها الأخرى ما قالته ترثي عثمان بن عفان:

أبَعدَ عُثمانَ تَرجو الخَيْرَ أمّتُهُ
وكان آمَنَ مَنْ يَمْشي على ساقِ
خليفةُ اللهِ أعْطاهم وخَوّلَهُم
ما كانَ مِن ذَهَبٍ جَمٍّ وأوْراقِ

مدحت ليلى الأخيلية الكثير من الشخصيات البارزة في عصرها، حيث قالت في مدح بني أبي بكر بن كلاب بن ربيعة:

إن كُنْتَ تَبْغي أبا بكرٍ فإنَّهُمُ
بِكلِّ ساحَةِ قَوْمٍ مِنْهُمُ أثَرُ

كتبت في كثير من الأغراض كالمدح والفخر والهجاء

وقد قالت في مدح توبة الحميري، حين سألها معاوية: من أيِّ الرجال كان؟

وكانَ كَلَيْثِ الغابِ يَحْمي عَرينَهُ
وتَرْضى بِهِ أشْبالُهُ وحلائِلُهْ
غَضوبٌ حَليمٌ حينَ يُطْلَبُ حِلْمَهُ
وسُمٌّ زُعافٌ لا تُصابُ مَقاتِلُهْ

كتبت قليلاً في الفخر والشعر الحماسي، للإشادة ببطولات قومها الذين اشتهروا بالشجاعة، والدفاع عنهم وقت الحروب، وكانت تُجيد إظهار القوة والاعتداد بالنفس؛ تقول:

يا أيُّها السَّدِمُ الملوّي رأسَهُ
ليقودَ من أهلِ الحجازِ بريما
أتُريدُ عمروَ بنَ الخليعِ ودونَه
كعبٌ، إذاً لوجدتَه مرؤوما
إنَّ الخليعَ ورهطَهُ في عامرٍ
كالقلبِ ألبسَ جؤجؤاً وحزيما
قومٌ رباطُ الخيلِ وسطَ بيوتهم
وأسنّةٌ زرقٌ تُخالُ نجوما
إنْ سالموكَ فدعهمُ من هذهِ
وارقدْ، كفى لكَ بالرُّقادِ نعيما

يُذكر، كذلك، أنها لم تكن تتردد في الردّ على هجاء الشعراء الآخرين؛ وفي هذا الحديث أخبارٌ مشهورة عن مساجلاتها الشعرية مع النابغة والفرزدق وجرير، والمساجلات هي نوعٌ من الحوار الشعري بين شاعرٍ وآخر، يحاول كلّ شاعر أن يعكس براعته الشعرية ومهاراته اللغوية، وكلُّ مساجلةٍ لها مع شاعرٍ كانت تُظهر نوعاً من طبيعة الحوار الدائر، تميزت بالتحدي، والردّ بالمثل ملتزمةً البحر نفسه والقافية نفسها، بما يبرهن على قدرتها على الوقوف في وجه الأعلام ببراعة، وكانت تسعى دائماً لإظهار تفوقها الشعري؛ ومن أشهر مساجلاتها مع النابغة في الهجاء عندما بلغها قوله:

ألا حَيِّيا لَيْلى وقولا لَها هَلا
فَقَدْ رَكِبَتْ أمْراً أغَرَّ مُحَجّلا
وقَدْ أكَلَت بَقْلاً وخيماً نَباتُهُ
وقد شَرِبَت من آخِرِ الصَيفِ أيِّلا

فردّت عليه بقولها:

أنابغَ لَمْ تَنْبَغْ ولَمْ تَكُ أوّلا
وكُنْتَ صُنيّاً بَيْنَ صُدَّيْنِ مَجْهَلا
أنابغَ إنْ تَنْبَغْ بلُؤْمِكَ لا تَجِدْ
لِلُؤْمِكَ إلاّ وَسْطَ جَعْدَةَ مَجْعَلا
أعَيَّرْتَني داءً بأمّكَ مِثْلُهُ
وأيُّ جَوادٍ لا يُقالُ لَهُ هَلا

فغلبته وعُدَّ من الشعراء المُغلَّبين، و(المُغلّب هو الشاعر الفذّ الذي يهزمه من هو دونه). وفي مساجلاتها تظهر قدرتها على التلاعب بالكلمات والأفكار بمهارةٍ وخفة. ومن ردّها على ابن مقبل (تميم بن أبي مقبل العجلاني- شاعرٌ مخضرم) على قصيدته التي قال فيها:

زَجَرْنا بَني كَعْبٍ فأمّا خِيارُهم
فَصَدّوا، ولِلْمَعْروف في النّاس أعْرُفُ

قولها:

دعاكَ فلا من أنْفَسِ القَوْمِ أنتمُ
ولا نَسَبٌ مِنْ قَيْسِ عَيْلانَ يُعْرَفُ

هذه المساجلاتُ تعطي صورةً واضحةً عن قدرة ليلى الأخيلية في خوض غمار المنافسة مع كبار الشعراء في عصرها؛ لكن هناك جانبٌ آخر يمكن رصده بهذه المساجلات، أنها تعكس ثقة بالنفس قوية لامرأة شاعرة، لا تهابُ مواجهة أيِّ شاعرٍ مهما بلغ شأنه الشعري ومكانته الاجتماعية أو شهرته.

قدّمها الأصمعي على الخنساء ومثله فعل ابن المبرّد

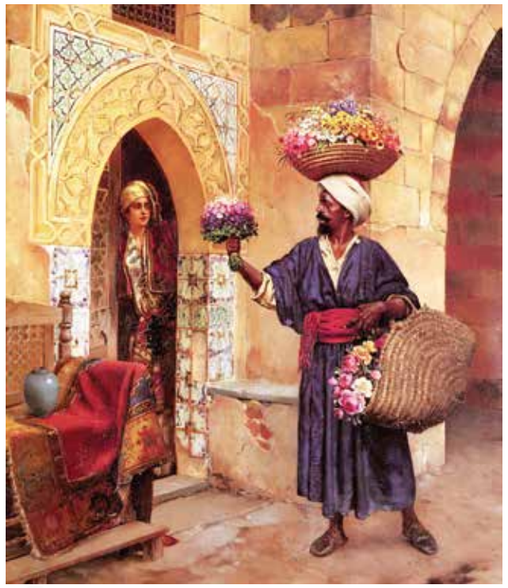

وقد اختُلف في وفاتها، غير أن هناك شبه إجماعٍ بأنها ماتت في الرّي، ولموتها قصةٌ مذكورة في «مروج الذهب» و«فوات الوفيات»، أنها أقبلت من سفر، ومرّت بقبر توبة، فآلت إلا أن تسلّم عليه وزوجها يحاول منعها فأبت، وصعدت أكمةً عليها قبر توبة فسلّمت عليه، ثم أدارت وجهها إلى قومها وقالت: ما عَرَفْتُ له كذبةً غير هذه، أليس هو القائل:

ولَوْ أنّ ليلى الأخْيليّةَ سَلّمَتْ
عليَّ ودوني جَنْدلٌ وصفائحُ
لَسَلَّمْتُ تَسليمَ البَشاشةِ أو زَقا
إليها صَدىً من جانِبِ القَبْرِ صادِحُ

وكانت إلى جانب القبر بومة، فلمّا رأت هودج ليلى، فزعت وطارت، فاضطرب الجمل ورمى بليلى على رأسها، فماتت من ساعتها، ودُفنت إلى جانب توبة.

ما ورد من أخبار ليلى، يكشف عن دورٍ آخر للمرأة يناقض الصورة التي تتزاحم في بطون الكتب التي تعكف على إظهار النساء بوصفهنّ جناحاً كسيراً؛ إذ كنَّ قادراتٍ على المشاركة في الحياة الأدبية بنشاطٍ وإبداعٍ يجعل فحول الشعر ينحنون احتراماً وتثميناً. يمكنُ لهذه الرؤية أن تساعد الباحثين في التّاريخ الأدبيِّ، لإعادةِ قراءةِ طبيعة التّنافس الشِّعري والأساليبِ المستخدمةِ في تلك الحقبة الأدبيَّة، وإبراز دورِ المرأة بما يكسرُ الصُّورة النمطيَّة السَّائدةَ عنها في تلك الحقبة.

ذاكرة الركام

علي وهبي دهيني
لبنان

ولمَّا اسْـتَدارَ اللَّيْلُ جِئتُ أُشـكِّلُ ... نُجوماً تَماهَتْ فِي الدُّجى تتبتَّلُ

أُحـاورُ خطوَ العابرِينَ .. ولمْ أَزلْ ... أَسـيرُ معَ المَوْتى وظهـريَ مُثْقَلُ

حَملْتُ سِلالَ القَهْرِ فوقَ مَلامِحي ... تَجاعيـدُ أَيَّـامٍ بِعُمْـريَ تُشْـعَلُ

مُحاطٌ بِيَ التَّأْويلُ .. مُذْ كُنتُ نُطْفةً ... وما أَجملَ الأَشْـياءَ حِيـنَ تُؤَوَّلُ

ومنـذُ وُلِدْنـا والغُيـومُ عَتيقـةٌ ... تُصافِـحُ أَحْـزانَ السَّـماءِ وتَرْحَلُ

ذَهبْنـا بعيـداً خَيْبَةً بعـدَ خَيْبَةٍ ... وأعـمـارُنـا لـلآخـريـنَ تُـفَـصَّـلُ

أنا ابْنُ تُرابِ الأَرْضِ .. جُرحٌ مُسافرٌ ... تُحدِّثُني الأَطْلالُ : هَلْ لِيَ مَنْزِلُ؟

أنـا ابْـنُ دروبٍ ضاعَ فِيهـا تَأَمُّلي ... ولكـنَّ صمـتَ المُتعبيـنَ .. تَأَمُّلُ

أَنا غَيْمةُ المَعْنَى إذا الرِّيحُ خانها ... أُراوِغُ شَـيْطانَ الحُـروفِ وأَهْطِلُ

«إذا جادَنِي غَيْثٌ» .. أَراني قَصيدَةً ... علـى وَجْنتيها مِنْ حَنينيَ جَدولُ

أُفتِّـشُ عَنْ صَـوْتٍ يَئِـنُّ بِداخِلي ... غَريـبٌ تُناديني الحَيـاةُ فَأَدْخُلُ

أُناجـي بَقايا الذِّكريـاتِ .. لِأَنَّني ... كمـا قَلقِ الأَوْتـارِ.. رَجـعٌ مُؤَجَّلُ

رَأَيتُـكَ يـا حُزْنـي تَطلُّـعَ غَيْمةٍ ... إِلـى وَجْهها المَبْلولِ كيفَ يُنَسَّـلُ

وإِنْ طالَ بِي حُزْنٌ وبَيْتي مُوحِشٌ ... أُسكِّـنُ أَوْجـاعَ الـرُّكـامِ وأُكْـمِلُ

فتون

محمود بلال
مصر

بحاجبٍ واحِـدٍ أَسْقَطْتِ مَمْلكةَ
الأشْـجارِ حين زَهـا في مَيْدِه السَّـعَفُ

ونَظْـرةٍ ليـس شَـطْحاً أن أُسَـمِّيَها
لَحْنـاً وأنْـدَى الأغانـي مِنْـهُ أَقْتَطِفُ

ودَمْـعـةٍ تَـتـوارى فـي مَـكـامِـنِـهـا
أَسْـبلتِها فَصَحَـا النُـوّام وارْتَجَفـوا

غَنَّيْـتُ.. زَهْرةَ موسـيقا غَدَتْ شَـفَتِي
تَـصُـبُّ فِـيَّ مَـبـاكـيـهـا وأرْتَـشِـفُ

راقَبـتُ.. صَوْتٌ رهيفٌ داخلي سَـرحَتْ
غِـزلانُـه، وغَـزَوْنـي كُـلَّـما دَلَـفـوا

غِـزلانُ وَجْـدٍ تـهـادَوْا كُلَّما خَطَرُوا
لـم أَسْـتَبِنْ صِدْتُهُـمْ، أم أنّنـي الهَدَفُ

كـذا.. تـأمَّـلْـتُ أحْـلامـي وأسئلتي
فَـلَـيْـس إلّا خَـسـاراتٌ ومُـعْـتَـرِفُ

ضِـدّان.. كفِّـيَ عمَّـا تَشـتهِي قصُـرتْ
وطـالَ حتّـى تَراخى عُـودُهُ الشَّـغِفُ

خَصْمـان واشْـتَبكا، حاوَلْـتُ مُنْتصِفـاً
وربّمـا فَقَـدَ الشَّـيئين مُنْتَصِـفُ

فـأيَّ صُـبْـحٍ ضَـحُـوكٍ كـان مَـوْعِـدُنـا
وأيَّ لَـيـلٍ عَـبُـوسٍ بِـتُّ ألْـتَـحِـفُ

ممّـا جَـرَىْ صِـرتُ رَحّـالاً يُـدَثِّـرُهُ
بَـرْدُ اللَّيالـي وما تُهْـدِي لـه الصُدَفُ

وصـارَ قَلْبي كُـفُـوفَ الأمَّـهـاتِ إذا
بَسَـطْنَها تَرفَـعُ النَّجْـوَى وتَلْتَقِـفُ

نعـم، تَكَبَّـدْتُ عِـبءَ الحَـجِّ مُزدَحِماً
بَيْـن الحُـروفِ فهـلْ لبَّيْتِ مـا أصِفُ

فانوس في الرواق

محمد المختار أحمد
موريتانيا

رَمَيْتُ في الفِكرَةِ المَنْسِـيّةِ الحَجَرا ... وسِرْتُ بالحُبِّ كَيْ لا أَخْسَرَ البَشَرا

لَعَلّنـي كُنْـتُ فـي الجُـدْران نافِذةً ... وفي اللّيالي التي - صَفَّيْتُها - قَمَرا

أَطْلَقْتُ في كَوْكَبِ الأَسْـماء أَسْئلَتي ... إذْ لَمْ أَجِدْ هُدْهُداً يُبْدي لي الخَبَرا

لَمْ أَقْطِفِ الشِّـعْر مِن عَلْياءِ خُضْرَتِهَ ... حتّى سَكَبْتُ على صَحرائِهِ المَطَرا

ورُحْـتُ مُمْتَطِياً خَيْـلَ الحَنينِ إلى ... نَهْرِ الجَمالِ الذي لا يَهْجُرُ السَّفَرا

أَرَدْتُ أن تُصْبِـحَ الأيّـامُ أغْنِيَـةً ... وأنْ أرى السِّـلْمَ في ساعاتِها وَتَرا

أَرَدْتُ مَكْتَبَـةَ الأشْـياءِ صافِيَـةً ... كَيْ أقْرأ الأمْسَ في تاريخِها عِبَرا

جَرَّبْتُ أَلْفَ طَريقٍ في السّـؤالِ ولَمْ ... أَقْصِدْ سَـراباً أنيقاً يَخْدَعُ الفِكَرا

كَمْ غُصْتُ في لُغَةٍ خَلْفَ السُّكوتِ وكَمْ ... رَتَّلْتُ في لَيْلِها من حَيْرَتي سُـوَرا

سـاءلْتُ كُلَّ مَجـازٍ عَـنْ حَقيقَتِـهِ ... أينَ ارْتَمَتْ وعَنِ المَعْنى هَلِ انْدَثَرا

وفـي حُروفـيَ عَلّقتُ الكُنـوزَ كَما ... يعلِّـق الجَذْرُ في أَغْصانِـهِ الثَّمَرا

للكائنـاتِ جَعَلْـتُ القَلْـبَ مَمْلَكـةً ... وقُلْتُ للفَأسِ أن لا يَجْرَحَ الشَّجَرا

وللمَجاريـحِ لَحَّنْتُ الدُّمـوعَ صَدىً ... يُروّضُ الوَحْشَةَ الصَّفْراءَ والسَّهَرا

الانتساب إلى جهة النخيل

إسماعيل الحسيني
العراق

أحـنُّ لِنَخْـلٍ يَخـصُّ الضُّلـوعْ ... تسـامى إلـى أَنْ تسـامى الرُّكوعْ

يُسـاقِطُ مِـنْ نَـفْسِـهِ حِينَما ... يَمِيـلُ إلـى المـاءِ كَـيْ لا يَجوعْ

يُسَـرِّحُ شَـعْرَ الأَغانِـي الصِّغـار ... ويَحْـذِفُ مِنْهـا ظِـلالَ الدُّمـوعْ

ويُـرْسِـلُ لِـلْـغَـيْـمِ أَعْـذاقَـهُ ... لِكَـيْ لا يُؤَجّـلَ وَقْـتَ الطُّلـوعْ

إذا طـارَ عَنْـهُ النَّـدى لِلسُّـهول ... تَـجَشَّـمَ إحْـسـاسَـهُ بِالهُجوعْ

عَـظِـيْـمـاً، يَـجُـرُّ الـمَـكـانَ إلـى ... رُؤاهُ، وتَسْـقِي رُؤاهُ الجُـذوعْ

يَـقـولُ لَـه الـعـابِـرُ المُسْتَهام ... بِـأنَّ الشَّـبـابـيْـكَ بـابٌ قَـنـوعْ

وأَنَّ الـحَـيـاةَ عَـلـى حُـلْـوِهـا ... تُـسَـمِّـمُ أَيّـامَـنـا بِـالـشّـيـوعْ

سَأَكْشِـفُ عَنْ خَيْمَتـي فِي العَراء ... لأَشْـهـدَ كَـيْـفَ تَـفِـرُّ الـرُّبـوعْ

سَـأَنْزِفُ حتّـى اللقـاءِ الأَخيـر ... أَعيـشُ نِهايـةَ حُلْـمِ الشُّـموعْ

وَحـيـداً تَـجِـفُّ عـلـى هامَتي ... سِـنينٌ وتلْـوي بِحـاري القُلـوعْ

وَحـيـداً ولـكـنْ بِـلا وَحْـدةٍ ... فَـقَـلـبـيَ مُـزدَحِـمٌ بِـالجُـمـوعْ

ومِـنْ أيـنَ يأتـي فُتـاتُ الحَنين ... ولمْ يـكُ لِلقَلْـبِ حـقُّ الوُقوعْ؟

عـلـى قَـدْرِ مـا تَدَّعيـهِ الوُجوه ... لَـه نَـحـوَ كُـلِّ الـجِـهـاتِ نُـزوعْ

لِـجُـبَّـةِ هـذي الـحُـروفِ الَّتي ... تَـسـلَّـقْـتُ أَدراجَـهـا لِـلـولـوعْ

لِـكُـلِّ احْـتـمـالٍ أَراقَ المُحال ... وذوَّبَ أصـداءَهُ بِـالسُّـطـوعْ

ارتبط اسمه وذكره بالعلوّ وسرعة المناورة

النسر في الشعر العربي

إشارات في المدح والفخر

د. محمد بشير الأحمد

أَلِفَ الإنسانُ العربيُّ الطيرَ في بيئته الصحراويّة القاسية، وقد نال النَّسْر نصيباً كبيراً وحظاً وافراً من حياة ذلك الإنسان بسبب قدرته الفائقة على التّحليق والطَّيران، وسُرعته في المُناورة والانقضاض، الأمر الذي أسهم في إكسابه مكانةً وقدراً رفيعين. وقد كان الحديث عن بلوغ النَّسْر الأماكن العليا، وارتبط اسمه وذِكره بكل ما هو عالٍ وسام. ولعلَّ أبرز خاصيةٍ يتميز بها النَّسْر القدرة على الوصول إلى كل مكان. كما يرد في مصادر التراث ذكر النَّسْر في مواضعَ كثيرةٍ، بناءً على ما قرَّ في ذهن الإنسان وثقافته من صفاتٍ ومناقب يمتاز بها.

ويُعدُّ المثل الشعبيُّ أحد أبرز مصادرِ التراث التي ورد فيها ذِكر النَّسْر في سياقاتٍ مختلفةٍ، لعلَّ أبرزها قولهم في الرَّجُلِ الشَديدِ البَصَر: «أبصرُ مِن نَسْر». وفي الضّعيف الذي يدّعي القوّة «إنَّ البُغاثَ بأرضِنا يستنْسِر» أي يستقوي كالنَّسْر.

أمّا في الشِّعر فقد وجدت حالة الطيران في خيال الشاعر الجاهلي فسحةً مناسبةً، عبَّأها بمفرداتٍ تلائمُها وتدلُّ عليها. كما تقترنُ في كثيرٍ منها بالسُّرعةِ التي تستدعي الحركة الملازمة لها بطبيعة الحال، ما يضفي على النص جواً يبعده من السُّباتِ أو السكون، وينقله إلى عوالمَ تُبرِزُ الذَّاتَ، وتَكشِفُ مرتكزات النص الرئيسة.

ومن الصور التي ترد وتتكرَّر في أشعار الجاهليين: عكوف النَّسْر على القتلى برفقة الجيوش، ليشاركهم الغنائم في التهام لحوم الجثث المتروكة في ساحة المعركة؛ يقول عنترة:

وبالسَّيْف قدْ خَلَّفتُ بالقَفْرِ منْهُمُ
عَظْماً ولَحْماً للنُّسورِ الكَواسِرِ

وقوله يتفاخر بنفسه مخاطباً عبلة:

يا عَبْلُ هَلْ بُلِّغْتِ يَوماً أنّني
ولَيْتُ مُنْهَزماً هَزيمَةَ مُدْبِرِ
كَمْ فارسٍ غادَرْتُ يَأكلُ لَحْمَهُ
ضاري الذّئابِ وكاسِراتُ الأنْسُرِ

يتضّح للمتلقّي في الأبيات السابقة إشارة الشاعر إلى قوّته واعتداده بنفسه، وفخره بقتله أشجع الفرسان في المعارك الضَّارية التي تحوم في سمائها النّسور، لتأكل من الجثث التي يخلّفها في ساحاتها، وهي صورةٌ تعزّز نموذج البطل في الشعر العربي، وتسهم في تنمية القيمة الجمالية للبطولة التي تأخذ أشكالاً متعددة، تختلف وفقاً لخصوصية كل تجربة.

ومنهم من استحضر صورة الغُراب مع النَّسْر، في مواضع مشابهةٍ، على نحو ما قاله الحارث بن عبّاد، مفتخراً بتشريده لتغلب ونسائها:

تَرَكْنا تَغْلِباً كَذَهابِ أمْسٍ
وأخْرَجْنا الحِسانَ منَ الخُدورِ
فلو نُشِرَ المَقابرُ عن كُلَيْبٍ
لأبْصَرَ بالذِّنائبِ شَرَّ زيرِ
تَرَكْنا مِنْهُمُ بَشَراً كَثيراً
لِغربانِ الفَلاةِ وللنُّسورِ

سياقات تتقاطع كلّها في دائرة المعاني والقيم النبيلة

نستذكر أبيات النابغة التي يفاخر فيها ببني عمّه وشجاعتهم

ولكون هذا الطير وغيره من السِّباع، أكثر المستفيدة من قتلى الحرب، تخوّفوا من ترك الجثث بعد الحرب في ساحات المعارك.

وتجدر الإشارة إلى تعدّد أسماء النَّسْر التي استحضرها الشعراء في قصائدهم، ولعلَّ أشهرها اسم «عافِياتُ الطَّيْرِ»؛ ومن ذلك قول النابغة الذبيانيّ، يصف وقعة الحارث الأصغر الغسَّاني ببني مُرّة:

تَرى عافِياتِ الطَّيْرِ قَدْ وَثِقَتْ لها
بِشِبْعٍ من السَّخْلِ العِتاقِ الأكائلُ

وفي هذا السياق نستحضر أبيات النابغة التي يفاخر فيها ببني عمه وشجاعتهم في خوض المعارك، وقد رافقتهم النسور طمعاً في لحوم أعدائهم:

إذا ما غَزَوْا بالجَيْشِ حَلّقَ فَوْقَهم
عَصائبُ طَيْرٍ تَهْتَدي بِعصائِبِ
يُصاحِبْنَهُم حتّى يُغِرْنَ مُغارَهُم
مِنَ الضَّارياتِ بالدِّماءِ الدّوارِبِ
تَراهُنَّ خَلْفَ القَومِ خُزْراً عُيونُها
جُلوسَ الشُّيوخِ في ثِيابِ المَرانِبِ
جَوانِحَ قد أيقَنَّ أنَّ قَبيلَهُ
إذا ما الْتَقى الجَمْعانِ أوّلُ غالِبِ

وهو يقصد بالعصائب: النّسور، التي كانت لكثرتها يهتدي بعضها ببعض في أثناء اتّباعِها للجيش.

وقد ترد الصورة ذاتها في سياقٍ تختلف إحالاته بارتباط النَّسْر فيه بما هو عزيزٌ أو كريمٌ، حيث لا تأكل النّسور أيّة جثةٍ، وإنما تتخيّر جثث الناس الكريمة لتأكل منها، ومن ذلك قول تأبّط شرّاً:

وإنْ تَقَعِ النُّسورُ عَلَيَّ يَوْماً
فَلَحْمُ المُعْتَفي لَحْمٌ كَريمُ

ولم تبتعد دلالات النَّشْر في العصر الإسلاميِّ كثيراً عمّا كان في العصر الجاهليِّ؛ حيث استحضره الشعراء في سياق الفخر والمدح مواضع الاعتداد بالذات، ومن ذلك قول الطِّرمّاح مشيداً بنفسه وعدم خوفه من الموت في قصيدته:

وإنّي لَمُقْتادٌ جَوادي وقاذِفٌ
بِه وبِنَفْسي العامَ إحْدى المَقاذِفِ
لأكسِبَ مالاً أو أؤولَ إلى غِنًى
مِنَ اللهِ يَكْفيني عُداةَ الخلائفِ

حتى يصل إلى قوله:

فأُقْتَلَ قَصْعاً ثمَّ يُرمى بأعْظُمي
كَضِغْثِ الخَلى بَيْنَ الرّياحِ العَواصِفِ
ويُصْبَحَ قَبْري بَطْنَ نَسْرٍ مَقيلُهُ
بِجَوِّ السَّماءِ في نُسورٍ عوائفِ

براعة أبي تمّام وجّهته إلى استثمار الطّاقات الإيحائية للنَّسْر

استحضره الشعراء في سياق الفخر والمدح في العصر الإسلامي

ولعلَّ من الطريف إيراد المساجلة التي دارت بين أبي الجهم أحمد بن سيف، والحسن بن وهب، في حضرة محمد بن عبدالملك، حيث عرّض الحسن بأبي الجهم قائلاً:

إذا ما حامَتِ العُقبانُ يَوْماً
تَسَتّرتِ الجَوارحُ بالغِياضِ

فردَّ عليه أبو الجهم متفاخراً:

ألَمْ يَخْفقْ فؤادُك يا بن جَهْم
لذِكْري دونَ رَمْيِكَ في عِراضي
وهَلْ ثَبَتَتْ عُقابٌ في مَكانٍ
إذا نَسْرٌ تَحامَلَ في انْقضاضِ؟

ما استدعى تدخّل ابن عبد الملك لفضّ هذا السجال.

أمّا «حَماسَةُ» أبي تمّام فلم تخلُ من استحضار النَسْر بدلالاته المرتبطة بالفخر، لكنَّ براعته وجّهته إلى استثمار الطَّاقات الإيحائية للنَّسْر في سياق المدح الذي اشتُهر به في عددٍ غير قليلٍ من قصائده، وربّما كانت قصيدته في مدح محمد بن يوسف الطّائيّ، من أبرز ما يمكن الاستشهاد به في هذا السياق، للتّدليل على بروز هذه الظاهرة الفنية لديه؛ يقول:

عَطَطْتَ على رُغْمِ العِدا عَزْمَ بابِك
بِصَبْرِكَ عَطَّ الأتْحَمِيِّ المُعَضَّدِ
فإلّا يَكُنْ ولّى بِشِلْوٍ مُقَدَّدٍ
هُناكَ فَقَدْ ولّى بعزْمٍ مَقَدَّدِ
وقَدْ كانَتِ الأرْماحُ أبْصَرنَ قَلْبَهُ
فأرمَدَها سِتْرَ القَضاءِ المُمَدَّدِ
حَطَطْتَ بها يَوْمَ العَروبَةِ عِزَّهُ
وكان مُقيماً بَيْنَ نَسْرٍ وفَرْقَدِ

وبذلك استطاع أبو تمّام رسم صورةٍ فنيةٍ ذات قيمةٍ جماليةٍ عاليةٍ باستحضار رمزية النَّسْر المُحيلة على المكانة العالية والسامية في سياقٍ إشاريٍّ مرتبطٍ بالمدح الذي يوافق ذائقة الشاعر وتجربته وخبرته، ومن ثمَّ لم يكن هذا الاستحضار مجرّد تصويرٍ فنيٍّ فقط، بل كان حمولةً فكريةً وقيمةً جماليةً وإضافةً مهمةً في النص.

وفي بعض النصوص يكون التعامل مع النَّسْر وفق أساليب تؤثّر فيها الحالة النفسية للشاعر، وطبيعة الموقف، وأوضاع التجربة واحتياجاتها، ومن هنا كانت تقنية القناع في الشعر العربي الحديث، الظاهرة الفنية الأبرز التي استثمرت الطاقات

الإيحائية والرمزية لدالّ النَّسْر، كي يفرغ الشاعر فيها الحمولات الفكرية والشعورية، بحيث يتوارى خلف هذا القناع / النَّسْر، على نحوٍ يرفع المستوى الفني والجمالي للنص، ويزيد درجة تأثيره في المتلقّي. وربّما كانت قصيدة « نَسْر» للشاعر عمر أبي ريشة، من أبرز القصائد التي تتجلّى فيها ظاهرة التواري خلف قناع النَّسْر بأسلوبٍ فنّي عالٍ، يدلّل على أهمّية الوظائف الفنية التي تؤدّيها آليَّةُ استحضار النَّسْر في النص، وهو ما يتّضح بقراءتنا لأبيات القصيدة التي يقول في مطلعها مستنكراً تحوّل النَّسْر من المكانة العالية في قمم الجبال إلى السفح:

أصْبَحَ السَّفْحُ ملعبا للنسور
فاغضبي يا ذُرا الجبال وثوري

ثمَّ تأتي الصور المتتالية لتصوير حالة النَّسْر / الشاعر الذي هَرِم وضَعُفَ، فلم يعد يقوى على مجابهة الضّعفاء الذين يستقوونَ عليه:

نَسَلَ الوَهْنُ مِخْلَبَيهِ وأدْمَتْ
مَنْكِبَيْهِ عَواصِفُ المَقْدورِ
والوَقارُ الّذي يَشيعُ عَلَيْهِ
فُضْلَةُ الإرثِ من سَحيقِ الدُّهورِ
وقَفَ النَّسْرُ جائعاً يَتَلوّى
فوقَ شِلْوٍ على الرِّمالِ نَثيرِ

تعددت أسماء النَّسْر التي استحضرها الشعراء في قصائدهم

تيه النَّسْر وكبرياؤه لا يسمحان له بقبول الإهانة، ما يدفعه إلى ترك الطعام والعودة إلى قمم الجبال، مفضّلاً الموت بشرف على حياة الذلّ؛ يقول:

فَسَرَتْ فيه رَعْشَةٌ مِن جُنون
الكِبْرِ واهْتَزَّ هَزَّةَ المَقْرورِ
ومَضى ساحِباً على الأفُقِ الأغْبَرِ
أنْقاضَ هَيْكَلٍ مَنْخورِ
وإذا ما أتى الغَياهِبَ واجْتازَ
مَدى الظَّنِّ مِن ضَميرِ الأثيرِ
جَلْجَلَتْ مِنهُ زَعْقَةٌ نَشَتِ الآفاقَ
حَرَّى مِن وَهْجِها المُسْتَطيرِ

وفي الختام يتّضح لنا دور النَّسْر البارز في الشعر العربي، عبر استحضاره في سياقاتٍ تتقاطع كلّها في دائرة المعاني والقيم النبيلة التي يفخر بها الإنسان العربيّ على مرّ العصور، الأمر الذي يشير إلى أهمّية قراءة الشعر العربي لينمّي تلك القيم في دواخلنا.

في قصيدته صوت فارق ورسم لآفاق الحياة

حسام شديفات

يشير إلى الفرح في «الشعراء»

د. باسلة موسى زعيتر
لبنان

انطلاقاً من آراء الفلاسفة في الشّعر، نجد اختلافاً في نظرتهم إليه، فمنهم من وجده يحاكي الواقع كما ذكر أفلاطون، ومنهم من وجده رؤية إلى الاحتمال لا الفعل بالضّرورة، وفق ما اتّفق أرسطو وابن رشد.. وفريق ذهب إلى القول برقيّ هذا الفنّ وسموّه، بل عدّه من أرقى أنواع الفنون كإيمانويل كانط وهيغل، ولكنّ أغلبهم ربطوه بالتّخييل وتناوله قضايا الواقع بأسلوب مؤثّرٍ في المتلقّي؛ أمّا الشّعراء فقد شكّل الشّعر عالمَهم كاملاً بكلّ ما فيه من سكون وجنون، وفوضى وتنظيم، وعقل وروح، ووعي ولا وعي. ولعلّ هاجس التّعبير عن أنا الشّاعر المتمرّدة هو ما دفع الشّاعر الأردنيّ حسام شديفات، إلى كتابة نصّه «الشّعراء» المنشور في العدد التّاسع والسّتّين من مجلّة القوافي.

العنوان عتبة الدّخول إلى دنيا الشّعراء

بمرورٍ سريع على العنوان «الشّعراء»، سنُحالُ مباشرةً وتلقائيّاً إلى ذلك العالَم الصّاخب الهادئ، والقانع الرّافض، والمسلّم الثّائر، والواقعيّ المتخيّل، لنجد أنفسَنا في صلب جمالٍ متنوّع بين سياقٍ متينٍ، ولغةٍ عذبةٍ محلّقةٍ، وروحٍ هائمة، وفكرٍ متوقّد، وتأثيرٍ عميقٍ يلامس جرح كلٍّ منّا وفرحَه؛ فالشّاعر الحذق هو الّذي يتمكّن من فهم أدوات الشّعر، وجعلها طيّعة بين يدي قلبه وعقله معاً، فسيطرة عنصرٍ على الآخر قد يولّد انحيازاً في القصيدة إلى سياقٍ واحدٍ يوقع في فخّ الإغراق فيه.

محاور النّصّ

استناداً إلى الأفكار الواردة في النّصّ يمكن تقسيمه ثلاثةَ محاور، الأوّل يشمل الأبيات الخمسة الأولى، وهو يتناول نشأة الشّعراء وأصلَهم، والسّيرَ المقدَّمةَ في هذا الإطار وفق ما يرى شديفات، فقد جاؤوا من أصل اللّغة، أي منذ كانت طفلةً تحبو في دروب التّطوّر والتّجدّد؛ وما بدؤه الكلامَ بهذا إلّا دلالةٌ على إيمانه بدور اللّغة ومكانتها في الشّعر، سواء أقصد حصرَها باللّغة الشّعريّة أم تعميمَها لتشملَ جوانبَها كافّةً. ثمّ أشار بعد ذلك مباشرةً إلى انتقائيّة الشّعراء في الاختيار، فهم يرفضون تماماً أنْ يُفرَضَ عليهم ما لا يريدون، لذا تخيّروا شكلَ الكلام، وبعدَها انطلقوا معتمداً كلٌّ منهم أسلوبه الخاصّ، ورؤيته إلى العالم:

مِن لَثْغةٍ بفَم اللُّغات تَحَدّروا
وتخَيّروا شَكْلَ الكَلام وثَرْثَروا
مُذْ راودوا الأفكارَ قبلَ صُعودها
لَمْ يُمْسكوا إلّا الّتي تَتَبْخَتَرُ

> **تبقى القصيدة ملجأً قوياً يحميه من التّشتت والاندثار النّفسي**

حسام شديفات في أمسية شعرية في بيت الشعر بالشارقة

والمحـور الثّاني يشـمل الأبيـات الثّمانية التّاليـة، يقدّم فيه صفات الشّعراء التّي يراها الأهمّ والأبرز، فهم يتعاملون مع الحزن بطريقتهم الخاصّة، ويفلسـفون الوجع على مزاجهم، ويتمسّـكون بالطّفولة، فيلجـأون إليها كلّما ضاقت بهم الأيّام؛ إذْ يجدون فيها سلوى همومهم، والمدى الأخضر الّذي لا يعرف الخريف:

ولَهُـمْ طُفولَتُهم فَلَـوْنُ خَيالِهِمْ
مَهْمـا تُعرّيـه المَواسِـمُ أخْضَرُ
مُتَشـبّثون بهـا كَأنّ أصابعـاً
في القَلْبِ لِلْبَيْتِ القَديمِ تؤشّـرُ

وهم بسـطاء جدّاً، أحلامُهم تضيء بالعودة إلى الماضي حين كانـوا يتوزّعون بين الأزقّـة بحثاً عن أملٍ مفقـودٍ، فالحنين إلى البدايات دائماً ما يغلب عند الشّـعراء، ربّما بسبب قسوة الحاضر عليهم، فيجدون في الغابر سـبيلاً إلى النّجاة من غربةٍ قاتلةٍ، أو لأنّهم لا يريـدون خلعَ أثواب البراءة والجمال الفطريّ، ليحافظوا علـى كينونتهـم الحقيقيّة وفطرتهـم الأولى، فابتكروا وسـائلهم الخاصّة ليعايشـوا الحيـاةَ كما يحلو لهم، ويمكن أن نسـمّي هذا الفعل احتيالاً على الواقع، ومحاولةً لرسم آفاقٍ أوسع وأكثر انفتاحاً ووردِيّةً:

ومُرابطـونَ على البَسـاطَةِ كُلّما
طَرأوا على بـالِ الزّقاقِ تَبَعْثَروا
والمُنشـئونَ مِنَ الفَـراغِ حَبيبَةً
وَلْهـى بـدونِ حَبيبِها لا تَسْـهَرُ

ولـم ينسَ الـكلامَ على مكانة الشّـعر لديهم، فهو سـكينتهم وابتسامتهم لذا يهربون إليه، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ فعلَ الهرب هذا خاصّةً مخالفٌ للسّـائد والمتعارف عليه، فهو شجاعةٌ قصوى،

لأنّ فعـل كتابة القصيدة أمرٌ في غاية الصّعوبة، ويحتاجُ إلى بذلِ جهـدٍ فكـريٍّ وعاطفيٍّ، وفي أثنائـه وقبله وبعده يعيش الشّـاعرُ حـالاً صعبةً، فهي لا تخـرج إلّا بعد مخاضٍ عسـيرٍ يكلّفه اللّجوءَ إلى الوحدة، والاستسـلام للحزن والحنين، وعـراكاً طويلاً محبّذاً مع اللّغة ومفرداتها، ومع ذلك تبقى القصيدة ملجأً قويّاً يحميه من التّشتّت والاندثار النّفسيّ:

والـهـاربـونَ إلـى الـقَـصـيـدةِ
فالقَصيـدةُ إمْبراطـورٌ يثـورُ وقَيْصرُ

أمّا المحور الثّالث والأخير فيشـمل الأبيات السّـبعة الأخيرة، فيه يتضرّع إلى الله لينقذ الشّـعراء جميعاً من الإجحاف المرتكب بحقّهم في مجتمعاتهم، ويطلـب المغفرة لهم، فهم لا يرغبون إلّا فـي محيطٍ يلائم تطلّعاتهـم العفوية، وهي العيش مع الموسـيقا

شديفات مع الشعراء المشاركين في معرض عمّان للكتاب

والكتب والآمال والطّبيعة، أي أن يحيوا بالبساطة الّتي تحدّث عنها في البداية:

يـا رَبُّ تَعْرِفُنـا برُغـم ذنوبنـا
يـا رَبُّ تَعْـرِفُ أنّنَـا لا نَصْبِـرُ
خُذْنـا إلـى مُـدُنٍ بهـا لَيْـلٌ
وفَلْسَـفةٌ وأحْلامٌ تَطيـرُ وأنْهُرُ

ويختـمُ نصه بشـرح حالهم، وإظهـار تحدّيهم المـوتَ، فهم لا يموتـون كباقـي النّاس، بل يبقى ذكرهم حيّـاً حتّى بعد الفناء، وهنا نسـتحضر جدليّة الحياة والموت، فلطالما ناقش الفلاسـفة والمفكّـرون فكرة الموت، والحياة فـي العالم الآخر، في حين لم يؤمـن الشّـعراء إلّا بالحياة، فلا موت في رأيهـم لمن خلد بفكره وعطائه، واخترق قوانين الأرض ليفرض قوانينه الإبداعيّة:

ونَمـوتُ لكـنْ لا نَمـوتُ لأنّنـا
صَـوْتُ الحَيـاة تُعيدُنـا وتُكَرِّرُ

حضور الطّبيعة والموسيقا

لم يكن حضور الطّبيعة في القصيدة عبثيّاً، فقد جعلها الشّاعر محوراً لحياته وأفكاره، إنّها مهـد الوجود، وموئل القوّة، فآدم أب البشـريّة خُلِق من التّراب، وسيعود الجميع إليه؛ والشّاعر خصوصاً يجد نفسه في تفاصيلها الدّقيقة، لذا نراه يحاكي تقلّباتها مع تقلّب مزاجـه. أمّا في «الشّـعراء» فقرأتها بكامل رومنسـيّتها، فكلمات «قمح، والحقول، وزعتر، والمواسم، وأخضر، وليل، وأنهر، والرّعاة، وعندليب»، تنقلنا إلى جوٍّ ربيعيٍّ بأناقته كلّها، وجميعها تشـير إلى الفـرح والحيـاة والطّمأنينة، والخير والعطـاء والحلم، وهذه هي الغاية المرجوّة:

في السّـيرَةِ الأولى يُقـالُ بأنّهم
قَمْحٌ يَسـيلُ مَعَ الحُقـول وزَعْتَرُ

توازياً مع الطّبيعة تشـغل الموسـيقا الشّـاعر أيضـاً، بل تعدّ من أول اهتماماتـه بوصفها عنصراً من عناصر الإحياء الرّوحيّ والاسـترخاء، وأداةً من أدوات الشّـعر الرّئيسـة الّذي يعدّ قائماً علـى الإيقاعات، بـدءاً بالـوزن والقافية والـرّويّ، وصولاً إلى الإيقـاع الدّاخلـيّ المتناغم مع إيقاع الشّـاعر النّفسـيّ، لذا لا سـبيل إليه من دونها؛ وانطلاقاً من هذه الفكرة يرى شـديفات متحدّثاً باسـم شـعراء الأرض كافّةً أنّهم نوتةٌ لا تهزم ولا تفنى، لذا استخدم مفردات «الغناء، ودندنة، وموسيقا، ونوتة»، وجعلها في صلب الموضـوع، وربطها بعناصر الطّبيعـة والطّفولة ربطاً وثيقـاً، ليخرج بإيقاعٍ داخليٍّ أخّاذٍ يمنح النّفسَ كثيراً من الرّاحة، والعقلَ مزيداً من التّأمّل:

مشاركته في بيت الشعر بالمفرق

خُذْنـا إلـى مُـدُنٍ بهـا شِـعْرٌ
ودَنْدَنَةُ الرُّعاة وعَنْدليبٌ أسْمَرُ
نَحْـنُ اليَتامى الطّيّبـونَ، نَعيشُ
موسـيقا ونَهْـرَمُ نَوتَـةً ونُعَمَّرُ

الصّورة الفنّيّة تخلق فضاءات شاسعة

نلاحظ تركيز الشّاعر على الاستعارة؛ إذْ اعتمدها وسيلة تتيح له الولوج إلى عمق المجاز ليخلقَ فضاءاتٍ منفتحةً على التّأويل «فم اللّغات، راودوا الأفكار، وجوههم تتعطّر، لون خيالهم، بال الزّقاق، أحـلام تطير، صوت الحياة...»، ولو قرأنا هذه الاسـتعارات بعمقٍ لبدا أنّ الشّـاعر يحاول أنسـنةَ كلّ ما يحـبّ، وجعل تلك العناصر ملأى بالمشـاعر الرّقيقة الحيّة، وتشـبه تماماً الوجودَ الّذي يأمل العيش فيه. ويأتي التّشبيه في الدّرجة الثّانية حضوراً بعد الاستعارة «بأنّهم قمحٌ يسيلُ، متشبّثون بها كأنّ أصابعاً في القلب...، فالقصيدة إمبراطورٌ يثورُ وقَيصَرُ...»، ليظهر تنوّع الدّلالات بين القوّة والخير والحنين إلى الماضي البعيد، وكلّها تدور في فلك الطّبيعة والزّمن الهارب الّذي يتمسّك به كي لا يفلت منه.

يصعب في هذا النّصّ تناول جميع جوانبه بالكتابة، فهو متوقّد بالشّـعريّة العالية، وأدواتُه محكمةٌ تفصح عن شاعرٍ متمكّنٍ عرف كيف يضمّن قصيدتَه عبقَ روحه وعقله، فقد تنقّل بين خبرٍ وإنشاء، وجملٍ اسميّةٍ وفعليّةٍ، وأفعالٍ ماضيةٍ ومضارعةٍ وأمرٍ متوسّلٍ مراعياً لعبة الزّمن بين الماضي والحاضر والمسـتقبل، ومتنبّهاً إلى تأدية جميع العناصر المذكورة وظائفها، ومنح تنوّعُ القافية بين أسـماء وأفعالِ النّصَّ حركةً أبعدته من الرّتابة الموسـيقيّة، وسـاعدته في ذلك رقّة حرف الرّاء المضموم في الرّويّ، لذا شكّلت القصيدةُ كلّاً متكاملاً معنىً ومبنىً.

قصيدته تتأرجح بين رؤيتين

مضر الألوسي

يحاور الأنا والآخر في «كبر الصغار»

رابح فلاح
الجزائر

تفتح نظرية القراءة في النقد الحديث الباب على مصراعيه، لتعدد القراءات والتأويلات للنّصوص على اختلاف أجناسها، ما يجعل القارئ يتّكئ على أدواته القرائية لبلوغ عمق ما في النّصّ، ويجعل المعنى الذي يكتشفه ويصل إليه، يحمل من الصّحة ما يجعل إمكانية الخطأ نسبية، بل منعدمة في بعض الأحيان في القراءات الجادّة. وتنتصر نظرية القراءة للنّصّ الذي يستطيع بلوغ عدد أكبر من القراءات والتأويلات.

دلالة العنوان

بأسلوب خبري يختار الشاعر مضر الألوسي، عنوان نصه، «كَبِرَ الصّغار» وفي العنوان ثنائية الكبر، والصغر، في طباق يجمع فيه بين متناقضين، ويختصر أعواماً طويلة ووقتاً مع كل الأحداث التي يمكن أن تقع فيه، لكنه في النّصّ ينتصر لما بينها، للتفاصيل التي حاول -الآخرون- اختصارها، وكأنّه يردّ على العنوان في البيت الآخير من القصيدة حين يقول:

دَعْ شَرْحَهُمْ ما حاوَلوا
لا يَسْتَطيعونَ اخْتِصارَكْ

فالقصيدة إذن، محاولة لتجنب الاختصار الذي في العنوان، وهو يبدو لأوّل وهلة أنّه يحاكي الطريقة التقليدية في اختيار العناوين، حيث إنّ عبارة العنوان ترد في البيت الأوّل من القصيدة إذ يقول:

ذَهَبوا فلا تُطِلِ انْتِظارَكْ
كَبِرَ الصِّغارُ فَدَعْ صِغارَكْ

والعمل بمنهج كاترين أوريكيوني، في كتابها المضمر، في تحليل النّصّ يضعنا أمام احتمالين، أو استدلالين لتتمة العنوان/ الشطر «فَدَعْ صِغارَكْ»، فالعبارة تحمل معنى: دع صغارك، انتهى كلّ شيء وارحل، وتحمل معنى: كَبِر الصغار فدع صغارك يذهبون.

حوارية القصيدة

في المعنيين دلالة انتظار لم ييأس منه المخاطب الذي يجعلنا نقف أمام استدلالين آخرين، وسؤال مهم: هل يخاطب الشاعر هنا شخصاً آخر، ليكون النّصّ حواراً من جانب واحد، سلب فيه صوت الآخر/ الغائب، أم أنّه «مونولوغ» يعتمد الحوار الداخلي الذي لا يقصد فيه الشاعر إلّا ذاته؟

في الحالين، القصيدة تردّ المكانة للمخاطب، التائه بين زمنين، زمن كان يسطر فيه طريق الآخرين/ الصغار، لذا يقول:

عُدْ لي فَكُلّي حاجَةٌ
أنْ أسْتَرِدَّ لك اعْتِبارَكْ

وثنائية الصغار والأب هنا تضعنا أمام سؤال مهم: هل المقصود هنا حقاً أب وصغاره، أم أنّنا يجب أن نقف أمامها كمثل عبارة دوستوفسكي حين قال «كلّنا خرجنا من معطف غوغول»؛ والعبارة تردّ االمكانة إلى من كان سبباً في تألق الكثير من الروائيين الروس، فهل تكون «كبر الصغار»، ردّاً لمكانة الشاعر «الكبير» الذي كان له فضل غوغول على «الصغار»؟

إنّ ما يجعل القصيدة مشهداً حوارياً، يتوقف عنده زمن السّرد بمنظور النقد البنائي إذا استعرنا المصطلح السردي لنقد الشعر، هو الجمل القصيرة، التي ترجمها إلى أبيات، بتفعيلات أقلّ، وباختيار حرف الروي الراء الذي يتنازل لكاف المخاطب الساكنة عن صوته، ولأفعال الأمر والنهي التي امتلأ النّص بها وكأنّه وصية مودّع؛ فيقول:

القصيدة تردّ المكانة للمخاطب التائه بين زمنين

الأبوّة تجعل الشاعر لا يستطيع أن يرفع سلاحه في وجه الآخرين

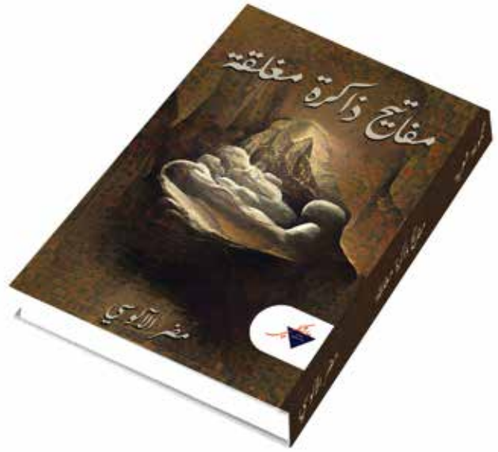

لَـمْـلِـمْ أُبـوَّتَـكَ الّـتـي
أَكَلَ الرَّصيفُ بها قِطارَكْ
وأفِـقْ فَـلـيْـلُـكَ كـذْبَـةٌ
سَـوْداءُ واسْـتَعْمِلْ نَهارَكْ
واتْـرُكْ رَمـادَ الـحُـبِّ لا
تَرْجِعْ لِتوقِدَ فيهِ نارَكْ

إنّ هذه الأبيات تجعلنا نعود إلى فكرة أنّ المخاطب هو نفسه الشاعر، وأنّ النّصّ مونولوغ ساحر استطاع فيه أن يتحرّر من الذات العاشقة، ليكون ذاتاً ناقدة، ويحاول جعل هذا العاشق يفيق من وهمه وانتظاره، هذا الانتظار الذي يشير إليه تارة بلفظة «الرصيف»، وتارة «الليل»، وتارة «الرماد».. أمّا القطار الذي التهمه الرصيف فهو الحياة ذاتها، الحياة منتظراً.

وفي انتظار «هم» الذين لم يتكبدوا عناء البقاء، يواجه الأنا/ المخاطب بالحقيقة، ليقول إنّه لم يكن إلّا قراءة خاطئة منهم، فلم يفهموا...

عَلَّمتَهمْ مَعْنى نُضوجِك
هُمْ يَظُنّون اصْفِرارَكْ
ويُفسّرونَ سُكوتَكَ المَعْصومَ
مِنْ خَوْفٍ فِرارَكْ

فالنصّ إذن يتأرجح بين رؤيتين، رؤية الآخرين الخطأ، ورؤية تحاول التّصحيح وردّ المكانة، ورغم أنّ الكتاب/ المخاطب واحد، فإنّه يجب أن يعلمهم قراءته كما هو، لا كما يريدون:

اقْـرَأْ كِـتـابَـكَ إنَّـهُـمْ
قَرَأوهُ حِينَ القَحْطُ زارَكْ
شَـرَحـوكَ مُـخْـتَـصَراً وما
مَـلَأْتْ بُحورُهمُ جِرارَكْ

وكأنّ الشاعر هنا يلبس قناع الشاعر حسان بن ثابت، ضمنياً، ليستعير بيته الشهير:

لِساني صارِمٌ لا عَيْبَ فيه
وبَحْري لا تكدّرهُ الدّلاءُ

أمّا تجربة الشاعر مع الخصام فعجيبة، فيحاول في القصيدة معرفة سبب هذه العلاقة، بين «الخصام/ الجلاد» و «الأنا/ الضحية»، فيبدع في بيتين ينسج فيهما صورة شعرية فارقة؛ إذ يقول:

أَفَكُلَّما احْتاجَ الخِصامُ
إلى ضَحِيَّتِهِ اسْتَعارَكْ
أمْ حينَ أبْصَرَ وَجْهَهُ
في وَجْهِكَ الصّافي أَدارَكْ

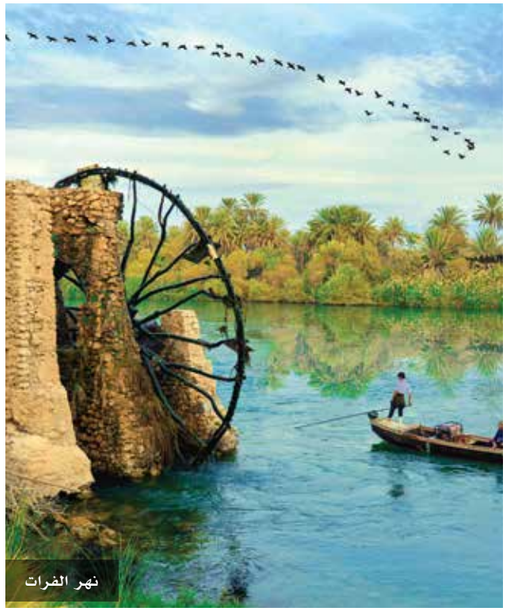

وجمالية الصورة تكمن في كونها صورة مركبة من صور جزئية، مبنية على سؤالين مختلفين، يجعل فيهما السؤال الثاني من الذات مرآة، من دون الحاجة إلى علاقة المشابهة، في عبقرية شعرية نادرة.

هذه العبقرية تظهر جلياً إذا حاولنا تغيير ترتيب الأبيات، غيّرنا القفلة ليتضح معنى الأبوّة، التي تجعل الشاعر لا يستطيع أن يرفع سلاحه في وجه الآخرين، بل هو يمنحهم سلاحه، يمنحهم تدبيره، وخططه، واقتراحه، وطريقه، وطريقته، وفي الفراغ الذي تركه بقرار رحيله تمدّوا وتصدروا المشهد، ليختصر الشاعر كل ذلك ويقول:

هُـمْ قَـرَّروا أنْ يَـرْحَـلـوا
أمْ أنْـتَ تُهْديهِـمْ قَـرارَك
مـا زِلْـتَ تَمْنَحُهُم سِـلاحَكَ
واقْـتـراحَـكَ وانْـتِـصارَكْ
يَـتَـمَـدّدونَ بِـلَـوْحَـةٍ
حَمْقـاءَ فاسْـتَرْجِع إطارَكْ

القطار الذي التهمه الرصيف هو الحياة ذاتها

إنّ قصيدة الشاعر مضر الألوسي «كَبِر الصّغار» تشبه مرآة تبحر بنا في قراءات تعكس ذواتنا، وتجعل من كلّ قراءة قطعة صغيرة من قطع المنمنمات التي تشكّل الصورة الأكبر لجدارية جميلة لا يمكن النّظر إليها إلّا في صورتها الكلية، لكنّ جمالياتها تظهر في التفاصيل الصغيرة التي لا يمكن اختزالها، فقد يضعنا منهجنا في التّحليل «المضمر»، أمام حتمية أنّ كاف المخاطب هنا قد تكون للوطن، الذي يجب أن يردّ مكانته أمام صغاره الذين كبروا في انتظاره، وأمام الذين لا يجيدون قراءة التاريخ الذي يثبت دائماً خطأهم، ويثبت بأنّه وطن خارج الإطار الذي يرسمه التاريخ، فلا عجب أن تتعاظم الـ«أنا» أكثر، حتى تبلغ قفلة يمكنها تلخيص كلّ ما سبق، رغم رفضه التّام للإيجاز والاختصار، فيقول:

دَعْ شَرْحَهُمْ ما حاوَلوا
لا يَسْتَطيعونَ اخْتِصارَكْ

لنعيد أبيات القصيدة إلى الترتيب الذي كانت عليه، ونرضى بالقفلة التي جاءت لتكرّر الفعل الذي بدأت به القصيدة: «دع» فدع الصغار، ودع شرحهم، وما بينهما ما لا يمكن اختصاره.

ودع شرحنا، وقراءتنا للقصيدة، التي لا يمكن اختصارها، فتعدّد القراءات متاهة تجعلنا نأبى الاهتداء إلى مخرجها.

سرب يمام

مرام دريد النسر
سوريا

لِـمـاذا حـيـنَ يَـبْـدأ بـالـسَّـلامِ..
يَـطـيـرُ إلَـيَّ سِـرْبٌ مِـنْ يَـمـامِ
لماذا الصَّمْتُ يُطْلِقُ ألْفَ صَوْتٍ
ويُرْجِعُني إلَيْهِ على الدَّوامِ؟
عَدَلْنا عَنْ طَريقِ الحُبِّ.. كُنّا
سَنَغْرَقُ لا مَحالَةَ بالغَرامِ
وكُنْتُ إذا لَقيتُ الحُبَّ أغْفو
مَتى مَرَّ النَّسيمُ على قَوامي
وأفْتَحُ كُلَّ نافِذَةٍ بِصَدْري
لَعَلَّ الضَّوْءَ يَخْرُجُ مِنْ مَسامي
وأَخْشى إنْ تَشابَكَتِ الأيادي
ودَبَّ الشَّوْقُ في كُلِّ العِظامِ
أبوحُ لَهُ بِحُبّي واحْتِراقي
وأَجْلِسُ بَعْدَ ذلكَ في الظَّلامِ
فآثَرْتُ الرَّحيلَ ولَيْسَ عِنْدي
سِواهُ.. فَهلْ فُطِرْتُ على السِّهامِ

وهَلْ كانَ النَّسيمُ سِوى سَرابٍ
يُرافِقُني بِصَحْوي والمَنامِ
وما قَيَّدْتُ قَبْلَ اليَوْمِ نَفْسي
ولا أَسْرَجْتُ مِنْ خَيْلٍ لِظامي
إلى أنْ جِئْتَ..كانَ هُناكَ سِرٌّ
غَريبٌ لَيْسَ يُدرَكُ لاهْتِمامي
ولم أَغْفِرْ لِقَلْبي .. كَيفَ ألْقى
السِّلاحَ وطارَ خَلْفَكَ لِلْغَمامِ
وأَنْشَدَ كَمْ أُحِبُّكَ لَسْتُ أنسى
أَنيني.. حينَ غِبْتَ عَنِ المَرامِ
فَدَعْني الآنَ.. لا يَكْفي لِقاءٌ
يَتيمٌ أو يَسيرٌ من إدامِ
أنا لا أَسْتجيرُك .. كانَ حُزْني
على فَقْدي لِوَهْجي واضّطرامي
وما إنْ لَوَّحَتْ كَفّاكَ طارَتْ
إلَيْكَ قَصائدي دونَ الأنامِ
أَريجُك لا يَغيبُ وإنْ رَحَلْنا..
سأُهْديكَ انْتِظاري ألْفَ عامِ

انطفاءات بذاكرة الجد

زيد صالح
العراق

وذاكـــرةٍ بـالمَحْوِ تَتْلو انْطِفـاءهُ
وتَسْـرِقُ مـن أيْدي السَّـحابِ سَـماءَهُ
لأنَّ رمـالَ الـعُمْـرِ فيـه تَـوغّـلتْ
لِـتَـمْـلأَ مِـنْ وَهْـمِ السّنينِ إنـاءَهُ
لأنَ نُـبـوءاتِ الـطّـريـقِ تُـضِـلُّـهُ
تَـرى كُـلَّ دَرْبٍ لا يُـريـد لِـقـاءَهُ
يَسـيرُ - ولا يَـدْري مَـداه - وكُلّمـا
مَشـى ضَـوْؤه عـادَتْ خُطـاه وَراءَهُ
فَـيَـرْسُـمُ آفـاقـاً بـريـشَـةِ وَهْـمِـهِ
ويَـغْـتـالُ ثُـقْـبٌ بـالـفَـراغِ فَـضـاءَهُ
ومِـنْ خَشَـبِ الآمـالِ صـاغَ سَـفينَةً
لِـتَـحْـمِلَ فَـوْقَ الأمْـنِـيـاتِ غِـنـاءَهُ
فَلَـمْ يَـدْرِ أنَّ المَـوْجَ أرْسَـلَ جُنْـده
وفـيـهِ شِـراعُ الـعَـجْـزِ زادَ عَـنـاءَهُ
هُـو الشَّـكُّ فـي طَيْـرِ الخَليلِ ونـارِهِ
وغُـرْبَـةُ جُـبٍّ لَـمْ يُـلاقِ دلاءَهُ
هُو البَحْـرُ مِنْ بَعْـدِ الجَفـافِ فَمِلْحُهُ
ثِـيـابٌ تُـغَـطّي بـالـجِـراحِ عَـراءَهُ
ثَـمـانـونَ عـامـاً والـظّـلامُ يَـلُـفُّـهُ
ومِـعْـولُ أحْـزانٍ يَـهُـدُّ بِـنـاءَهُ

ضحك أبيض

عبدالله أبو بكر
الأردن

عـلـى دَرَجٍ إلـى الـدُّنْـيـا صَـعَـدْتُ
وفـــوقَ الـمـاءِ أو أعْـلـى وَقَـفْـتُ
أطـالِـعُ صـورَتـي فَـتَـضـيـعُ مِـنّـي
وأَتْـبَـعُـهـا .. ولـكـنْ مـا وَصَـلْـتُ
أرى، لَـكـنّـنـي أخْـشـى عُـيـونـي
إذا فـي عَـتْـمَـةٍ عَـمْـيـا رأيْـتُ
وأضْـحـكُ مِـلءَ حُـزنـي ثُـمّ أبْكي
كَـمَـجْـنـونٍ سَـيَـصْـرُخُ فـيـهِ صَـوْتُ
مَـفـاتـيـحـي.. قَـنـاديـلٌ أضـاءتْ
وإنْ ضاعَـتْ فلـي فـي التّيـهِ بَيْـتُ
ولـي أُغْـنِـيّـتـانِ: سَـمـا وأرْضٌ
وبَـيْـنَـهُـمـا يُـضـيء الـزَّنْـزَلَـخْـتُ
سـأُمْـسـكُ بـالـهـواءِ لَـعَـلّ يَحْنو
ويُـرْجِـعـنـي إلـيَّ إذا ابْـتَـعَـدْتُ
على قَـلَـقٍ.. وهَـذي الـرّيـحُ فَوْقي
أُهـادِنـهـا، أنـا فَـــوْقٌ وتَـحْـتُ
رَمـى قَـلْـبـي سـهـامَ الـبَـوْحِ حتى
مَـــلأتُ مَـدارَهـا ضـــوْءاً وجِـئـتُ
إلـــى جِـهَـــةٍ أسَـمّـيـهـا قَـصـيـداً
وبَـحْـراً نـاهِـضـاً يَـحْـدوهُ يَـخْـتُ
تُـعَـلّـمـنـي يَـــدايَ بـــأنْ أراهـــا
وأَنْـثُـرَ لـؤلـؤاً .. أنّـــى عَـبَـرْتُ
وأنْ أرْوي الـحِـكـايـةَ مُسْتَريحاً
وأبْـــدأَ حَـيْـثُـمـا ظَـنّـوا انْـتَـهَـيْـتُ

في مجموعته قصائد صادقة ومعبرة

جاسم محمد جاسم..

يحاول بريشة الشعر «الرسم على عباءة الريح»

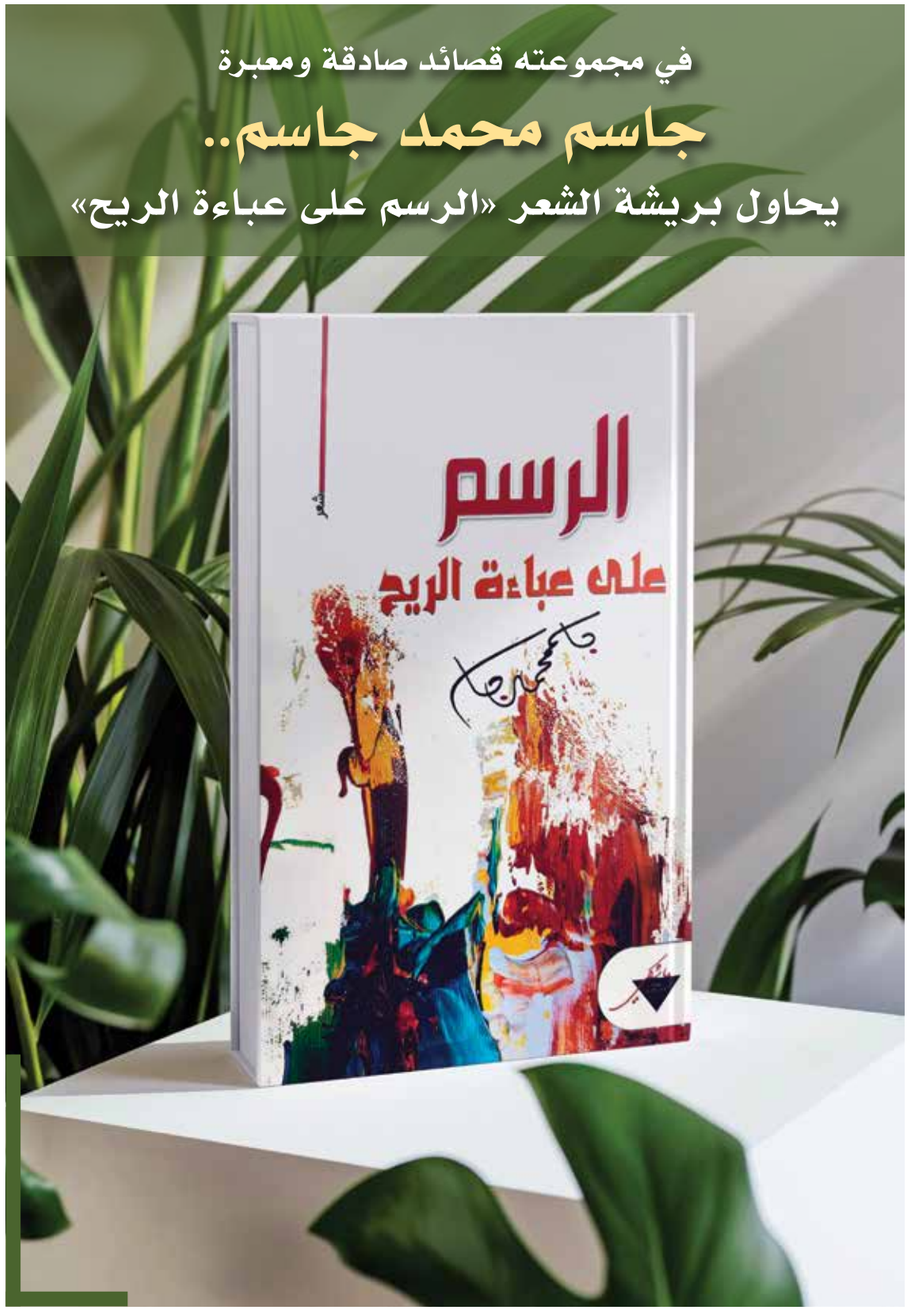

محمد الهادي الجزيري
تونس

عادة ما يترك الشعراء عقدة المعنى إلى نهاية القول، حين يطوفون بجراح النفس واحدة فواحدة، ويصلون إلى الذروة فيبوحون بخلاصة الوجع والتيه، لكن صاحب هذا النصّ من نوع آخر، عرض على القارئ منذ البداية، منذ القصيدة الأولى التي اختار لها عنوان «تعتيب» لُبَّ محنته الحميمة، من ضمن ذلك: هوسه بالشعر وامتزاج الأوزان والمعاني مع دمه، كما أنّه رهين قدره ولا يريد فرجاً أو مخرجاً منه.

أَتَيْتُكمْ، وعَفاريتي تُلاحِقُني
طِفْلاً إلى أُمِّه عِنْدَ المَغيبِ لَجا

هو جاسم محمد جاسم، ابن العراق، أكاديمي أصدر إلى الآن، كتباً نقدية ومجاميع شعرية، وجاب البلدان وصدح فيها بأشعاره، وتوّج بكثير من الجوائز. وقد لخّص كلّ شيء منذ بداية السطور الأولى لمجموعته الشعرية؛ فهو الذي قصد الشعراء هارباً من بنات أفكاره وهواجسه، طرق الباب على أجداده الكرام، إذ إنّه بمنزلة حفيد من يتمسّح بهم ويعدّهم أسلافه العظام مثل امرئ القيس، والمعرّي، وكعب بن زهير. ويصف رحلة فراره بأصدق وصف ممكن «هُروبُ طفلٍ إلى حِضْنِ أمّه واعتصامُه به». والحقيقة أنّه رغم شدّ الشاعر لي في هذا البوح الأوّل، تبقى القصائد المتزاحمة أمامي وعليّ والهاتفة: أنا ..أنا ، تُرْبِكُني.. فأنا في حضرة شاعر يتقن فنّ القول. له صولات وجولات في المهرجانات الشعرية، آخرها مهرجان الشارقة للشعر العربي، وأثبت فيها أنّ له باعاً مميّزاً.

في القصيدة التي أهدت اسمها عنوانا للمجموعة «الرّسم على عَباءة الريح»، ثمّة شرط لا بدّ منه للخوض في بحار الشعر، وقد حقّقه الشاعر في قولة واحدة:

أَرى الشِّعْر إبْحاراً وحُلماً بِعَوْدَةٍ
إلى شاطِئٍ صِدْقُ الشُّعورِ مَغانِمُهْ

فالصدق أوّلاً وقبل كلّ معاني الحياة من كرم وإخلاص وشجاعة ووفاء ..إلخ ، فالصدق المرّصع بالموهبة تاج الشاعر إن أراد تطويع الكلمات إلى أهداف نفسه. والصدق الصافي يقنع المعاني التامّة بالشهادة إلى مصلحته، هذا إلى جانب أفكار أخرى وردت في القصيدة، مثل أن تكون القوافي أشلاء والحزن دولة، أو دوران الشاعر كما الناعور ليسقي العالمين؛ والله وحده يعلم كم هي طويلة غربته وبؤسه وحاجته إلى الماء، أو الخير، بمعنى آخر، أو هناك داخل النصّ هواجس مربكة؛ ولعلّ جاسم، أراد أن يختم هذا البوح بهذين البيتين البديعين:

ووالله لَمْ تَذْبُل مَواسِمُ فِكْرَتي
ولا ذَهَبُ الأَلْفاظِ جَفَّتْ مَناجِمُهْ
ولكِنْ رَأَيْتُ الصَّمْتَ أولى بِشاعِرٍ
إذا لَمْ يَهُزَّ الكَوْنَ ما هو ناظِمُهْ

لخّص كلّ شيء منذ بداية السطور الأولى لمجموعته الشعرية

جاسم محمد جاسم

نحطّ الرحال عند قصيدة «يدكِ الأصل»، أين يعود بنا الشاعر إلى أصل الأشياء، ويعترف أمام الله والنفس، وأمام الكتابة واللحظة الشعرية، بأنّ ينبوع العالم وجه الأنثى، وأنّ الشاعر ليس له مهرب منه، وأنّ قدره أن يتمسّح على عتبات المعشوقة، ويبوح لها بما يكابده إن ظلّت غير آبهة به؛ فهو وإن كان مسموعاً أذانه القادم من باطنه، يبقى ملجماً ومخنوقاً ويحتاج إليها، إلى يديها لتخلّصه ممّا هو فيه، لكي ينتشر شعره ويضوع ولا يضيع:

كَتَموني وفي جَبيني صَلاةٌ
وأذاني مِنْ داخِلي مَرْفوعُ
إقْرَئيني وصادِقي خَلَجاتي
كُلُّ شِعْرٍ بِلا يَدَيْكِ يَضيعُ

نصل الآن إلى «مَطارق الحَرف» ونتبع المبدع في رحلته المشوبة بالحيرة والقلق، فأنّى مضى وسافر وأوغل في دروب مستحيلة، يجد كالشامة جرحه الدامي يلحّ عليه ويريد مواساته حتّى وإن أدار له الظهر، رحلة يودّ جاسم أن يجد لها نتيجة مرضية لذاته وقصيدته من دون جدوى، فلا شيء من ذلك، إنه الضياع التامّ ورفض الأرض أن تصبح سكناً له بالرغم من محاولاته السابقة والآنية؛ وخلاصة الأمر أنّه لم يجد نفسه بعد عناء البحث والتنقيب داخل الذات والنصّ والورقة، لذا ننصتُ له وهو يندب حظّه ويعلن مصيره:

لم يجد نفسه بعد عناء البحث والتنقيب داخل الذات والنصّ

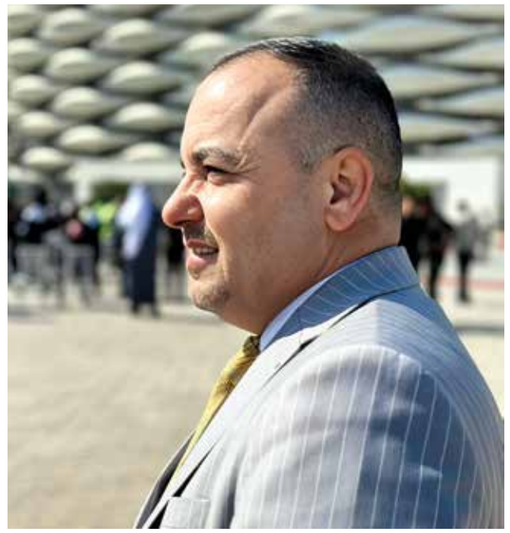

أضيعُ..أسألُ مِرْآتي، خُطوطَ يَدي
مَرافئي، صَمْتَ حاراتي، دَرابيني
لَمْ أُبقِ زاويةً إلّا مَرَرْتُ بها
لِلْبَحْثِ عَنّي ولكنْ لا أُلاقيني
كُلُّ الذي بَعْدَ طولِ البَحْثِ أَعْرِفُهُ
براءةُ الأَرْضِ عَنْ ضَمّي وتَوْطيني

يكشف أوراقه على طاولة اللعب / الوجود ، ويسمّي اللعبة «طلب لجوء»، فتختفي كلّ صفاته وأدواره مثل الشاعر الفرد والطفل اللاجئ إلى أمّه والناقد الحصيف والسياسي الباحث عن وطن، ويخرج لنا من قمقم ذاته، العاشق الصبّ، متسائلاً هل أجرم حتّى يلاقي من «نِساء قصائده» كلّ هذا الجفاء والويل والثبور، والحال أنّه كما يصف نفسه وشعره:

لَقَدْ كانَ شِعْري قَلْبَ أمٍّ ووالِدٍ
وكانَ لَكُنَّ الجارَ والخالَ والعَمّا

ويهدّد بأنّه سيحمل أشلاءه ويبحث منذ اللحظة عن عالم أسمى وأنقى... فقد عاش حياته في دنيا تغلب عليها السفاهة والنكران... ووجب عليه تأسيس عالم من شمس وماء وخيمة.. عالم يضيف إليه صفاء الليل وسكونه، بعيداً من واقع مزدحم بالكذب والنفاق:

هَلِ ارْتَكَبْتُ روحي وقَدْ عَشِقَتْ جُرْما
لِتَطْعَنَني لَيْلى، وتَذْبَحَني سَلْمى
وتَتْبَعُها هِنْدٌ، وتَرْسُمُ شَقْوَتي
ومِنْ بَعْدِها لَيْلى ومِنْ خَلْفِها أَسْما
أهذا مَصيري يا نَساءَ قَصائدي
أتأكُلْنَني لَحْماً وتَرمينني عَظْما

ثمّة أبيات كثيرة لامستني وفعلت بي ما أرادت، نظراً لاندلاعها من موهبة حقيقية ولكونها حقّقت شروط الإبداع والفنّ الراقي دون إسفاف أو سقوط في بكائيات بالية؛ فالشاعر يعرف ما دوره في هذا الكون، يعرف أنّ عليه خلق من جرحه وردة ليعرضها للناس من دون رغبة ظاهرة، من دون تسوّل إعجاب الخلق، فالبقاء لمن يكتب بيأس في الإقناع والإبهار، وهذا ما لفتني في شخصية الزاهد في كلّ شيء، إلّا استدراج اللغة والروح إلى الشعر.

في حديثه عن الشعر وكيفية تعامل الشاعر معه، يحقّق شرط الحريّة، وهو شرط أساسي في التعامل مع الآخر، وما أدراك إن كان الآخر السيّد الشعر الجامح:

سَأَتْرُكُهُ مِثْلَ الحِصانِ بِداخِلي
يَعيشُ كَما يَهْوى، وما أنا لاجِمُهْ

أمّا في قصيدة «لا تطرق الباب» التي وردت على لسان أنثى، توبّخ عاشقها لأنّه عاد إليها متأخراً، فهناك أبيات لافتة لقوّة الردّ وعنفوان التحدّي، تكشفان لنا عزّة نفس الشاعر وإن اختار في هذه القصيدة تقمّص دور امرأة مهجورة، وهذا يدلّ على قدرته الفائقة في التلبّس بأدوار أخرى وكثيرة:

ما عادَ يَرْضاكَ عَبْداً في مَزارِعِه
كلّا، ولا عِنْدَ بابِ القَصْرِ بَوّابا

في باب آخر يمكن تسميته باب العروبة، أو صوت المواطن العربي في ظلّ ما يعيشه من أحداث دموية صادمة، يكتب الشاعر جاسم بلوته وحزنه بشكل فنّي عال، فلا هو البكاء على الأطلال أو الخرائب الواقعية، بل وقفة شاهد عصره بكلّ أنفة وكبرياء، نقرأ في قصيدة «فخاخ لطيور عاقلة» كلاماً يوجّهه إلى كلّ مؤمن بالأمة العربية الموحّدة:

أَلا أَيُّها المَنْفِيُّ داخِلَ نَفْسِه
فَلا هُوَ مَوْجودٌ ولا هو راحِلُ

في طفرة أخرى من الصدق، نراه في دور المَدين للمجاز والاستعارات والإيحاءات الدّالّة على تماسكنا وفرحنا بما نحن فيه،

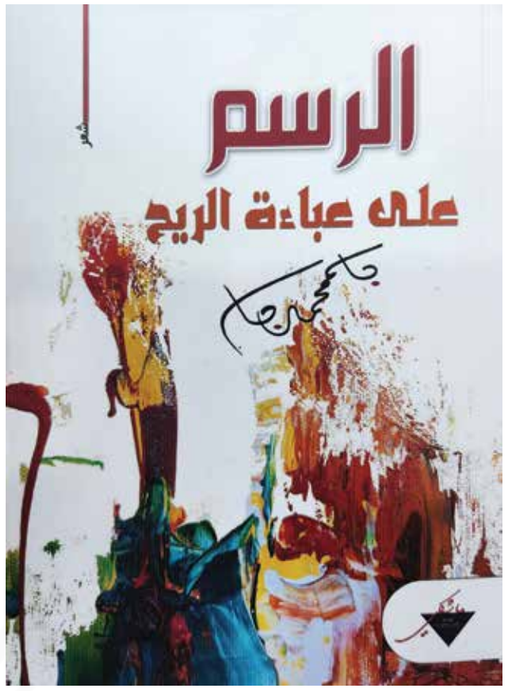

البقاء لمن يكتب بيأس في الإقناع والإبهار

فالكلّ يضعون المساحيق على كلّ جرح وعلى كلّ شجن ضارب في النفس، فيجيء الشعر إن سمحنا لأنفسنا بتسميته الشعر، يأتي معتلّاً بارداً متأتئاً يكاد يصبح أخرس، وهذا ما يزعج جاسم، ويذيّل به خاتمة قصيدة بعنوان «صَديق الغُبار»:

نُجَمِّلُ أيّامَنا بالمَجازِ لأنَّ حَقيقَتَنا موجِعَةْ

«تقسيمات» جمع فيها الشاعر ذاته ووطنه وهواجسه وبنات أفكار، لمّ كلّ شيء، وصف الوالد الكريم، وتساءل عن سبب انهزام الضوء بأرضه والحال أنّها مطلع الشمس ولها مواعيد كثيرة للبذار، وأومأ إلى من صادروا صوته لمّا قال شيئاً عن المطر، هذه التقسيمات.. ما هي سوى تنويعات عن الأنا بمختلف وجوهها، ومن ذلك مثلاً حديثه عن موته اليومي لاحتياجه إلى أشياء منها.. وهو قدر العاشق:

لَيْسَ لي مِنْكِ نَخْلَةٌ لَيْسَ لي غُصْنُ تُوتْ
لا رَبيعٌ يَمُرُّ بي ولِذا دائماً أموتْ

حملت قصيدته قيما إبداعية وفروسية..

«ليس الجمال بمئزر»

لـ عَمرو بن معد يكرب

وثيقة شعرية وإنسانية خالدة

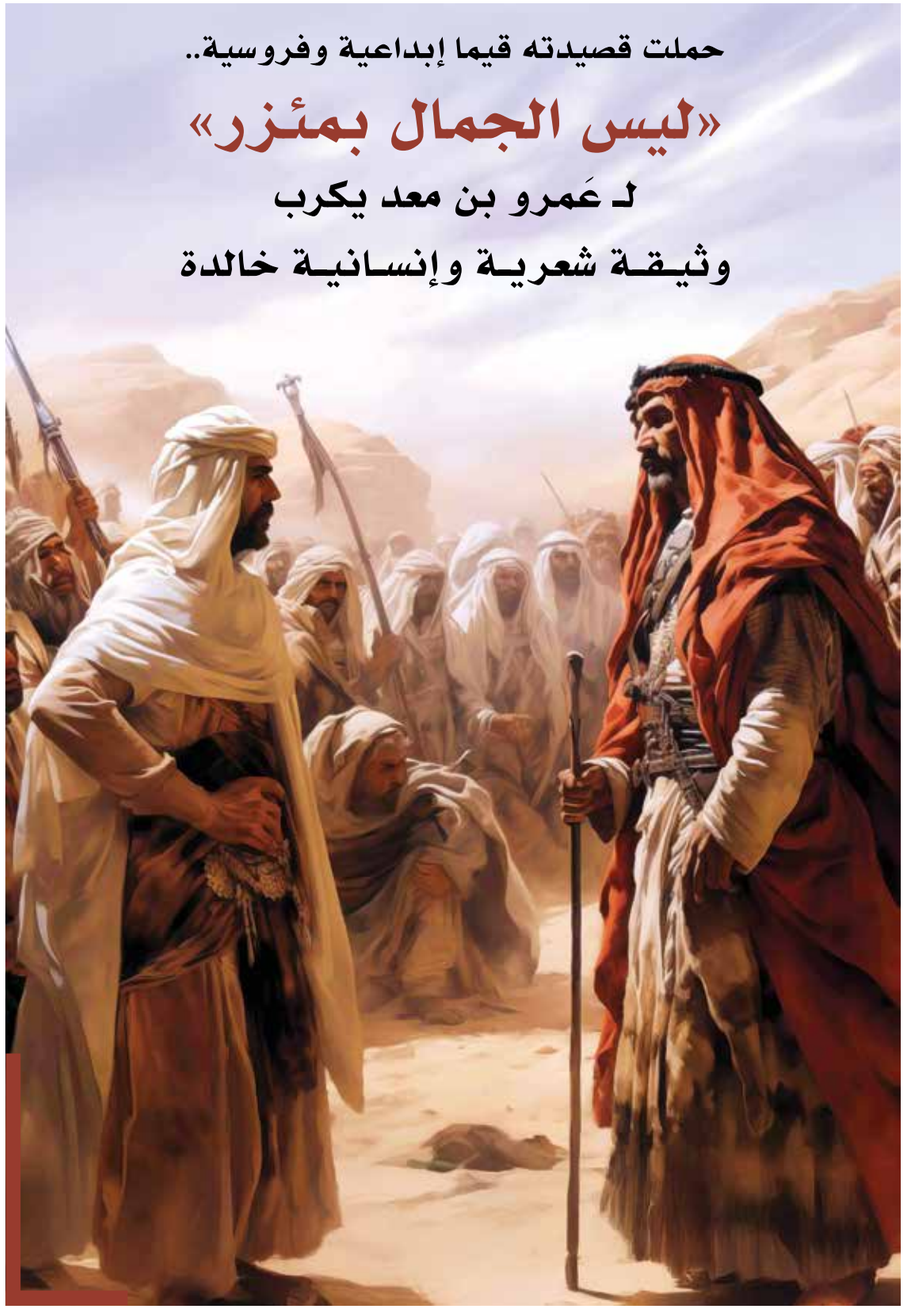

د. إيمان عصام خلف
مصر

الشعر وسيلة من وسائل الإبداع، وبذرة من بذور التعبير عن المكنون النفسي؛ هو ديوان العرب الأول لكل مفاخرهم وأيامهم، منه التمسنا موروثنا الثقافي، وبه نضجت ثقافتنا بين الثقافات، إنه الكنز الذي نتغنى عبره بكل أمجادنا القديمة وبطولاتنا؛ فيه نتذكر أيام العرب ولياليها، وحروبها ومآسيها. إنه الكنز الأسمى لتاريخ الأمة وتحوّلاتها، ومن ثم حوى بين دفتيه المعلّقات الخالدة، والقصائد اليتيمة، والمحاسن التي لا تجفّ، فجاءت عيونه حاملة لكل تباريح النفس، وكل ما حوته البيئة العربية من مآثر لا يمكن إغفالها، لما لها من أثر نفسي.

وإننا إذا ما عاودنا قراءة شعرنا القديم فسنتوقف طويلاً عند عيون هذا الشعر، حيث إنها قصائد ودواوين تجاوزت في لغتها، وصورها، وموسيقاها حدود الزمان والمكان، ورسّخت جذورها في البنان، لتصبح مدرسة أخلاقية وفنية وإبداعية تُسْتَلْهم منها العبر والعظات، وهي ليست قصائد أبدعها الشعراء عبر العصور، بل لآلئ امتزج فيها الجمال الفني مع العمق الإبداعي، لتكون ميثاقاً معلناً عن عبقرية الشاعر العربي وقدرته على التقاط أدق تفاصيل الحياة الإنسانية وتجاربها وتحويلها إلى نصوص خالدة.

لقد ظهرت لنا في فضاءات الشعر العربي عيون نقلت إلينا ملامح الحياة العربية، وتحولاتها من حرب إلى سلام، ومن حب وحنين إلى هجر وفراق، ومن فخر وشجاعة إلى انكسار وانهزام؛ فهي عيون جمالية وفنية تجمع بين الحكمة والجمال، بين المعاني السامية والأخلاق العالية والأساليب البديعة؛ كقول امرئ القيس:

فَلَوْ أَنَّ ما أَسعى لأَدنى مَعيشَةٍ
كَفاني وَلَمْ أَطلُب قَليلٌ مِنَ المالِ
ولَكِنَّما أَسعى لِمَجدٍ مُؤَثَّلٍ
وقَد يُدرِكُ المَجدَ المُؤَثَّلَ أَمثالي

فنجد أن عيون الشعر العربي ليست تعبيراً اصطلاحياً يشار به إلى القصائد البارزة، بل هي انعكاس لما بلغته هذه القصائد من عبقرية شعرية وإبداعية، ويتجذّر فيها السحر الفني والعمق الفكري، وهو ما نلمحه في قول طرفة بن العبد:

أخي ثِقَةٍ لا يَنْثَنِي عن ضَريبَةٍ
إذا قيلَ: مَهْلاً، قال حاجِزُهُ: قَدِي
إذا ابْتَدَرَ القَوْمُ السِّلاحَ وجَدْتَني
مَنيعاً إذا بَلَّت بقائِمِهِ يَدِي

تتجلّى فيها الشجاعة والفخر وهما جوهر الروح الإنسانية

جسّد طرفة القيم الفروسية في أبهى صورها، فمن سماتها الثبات على المواقف، والشجاعة عند المواجهات، والوفاء العميق للأصدقاء، ما يجعلها نموذجاً فنياً بديعاً في الشعر العربي، يعبّر عن أسمى القيم التي يُحتفى بها في العصر الجاهلي، وتندرج في صميم الشعر العربي التقليدي الذي يعكس الحكمة والرجول؛ ويقول أيضاً:

سَتُبْدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنْتَ جاهلاً
ويَأتيكَ بالأَخْبارِ مَنْ لَم تُزَوِّدِ
ويَأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لَم تَبِعْ لَهُ
بَتاتاً ولَمْ تَضرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوعِدِ
أَرَى العمرَ كَنْزاً ناقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ
وما تنقصِ الأيّامُ والدَّهْرُ يَنْفَدِ

لقد خلَّد الزمن هذه العيون لكونها من روائع الأشعار، ومن هذه العيون قصيدة الشاعر عمرو بن معدّ يكرب الشهيرة «لَيْس الجمال بمئزر»، فهي واحدة من روائع الشعر الجاهلي لكونها منارة نستلهم منها الجمال والحكمة، وما حوته من أدقّ التفاصيل الإبداعية، مجسّدةً فلسفةً عميقةً من معاني الجمال والقيم الإنسانية، ووثيقة خالدة تعكس روح الجماعة، وتكمن جمالية هذه القصيدة في قدرتها على الجمع بين عناصر التراث الشعري العربي الأصيل وبين رؤى خاصة للشاعر، فجاءت القصيدة نابضةً بالحكمة فيكشف لنا الشاعر عن فلسفة عميقة في معاني الجمال والقيم الإنسانية، مجسداً ذلك في قوله:

لَـيْـسَ الـجَـمـالُ بِـمِـئْـزَرٍ
فَـاعْـلَـمْ وإنْ رُدِّيـتَ بُـرْدا
إنَّ الـجَـمـالَ مَـعـادِنٌ
ومَـنـاقِـبٌ أَورَثْـنَ مَـجْـدا

طرح الشاعر معياراً أخلاقياً للجمال الحقيقي، مستخدماً أسلوباً تعليمياً عبر الخطاب المباشر، فجاءت مفرداته «الجَمال» و«بُرْدا» لتمثل مقابلة بين السطحية والجوهر، ما يعكس بعداً فلسفياً عن فكرة الجمال في الفكر الإنساني، موضّحاً الجمال الحقيقي الذي يكمن في المعادن النفيسة التي ترمز إلى الأخلاق والفضائل التي تُكسب صاحبها المجد والرفعة.

وتتجلى الشجاعة والفخر في قصيدة عمرو بن معدّ يكرب، فهما جوهر الروح الإنسانية حين تواجه الحياة بعزم وصلابة؛ ففي معترك الأحداث، تتجلّى النفوس العظيمة في ثباتها وصمودها،

يستحضر صورة حيّة نابضة بالحياة في وصف قومه

وقد جُسّد ذلك في أبياته فنسج نسيجاً متيناً من معاني الشجاعة النبيلة والفخر الذي ينبع من الثقة بالنفس والإيمان بالقيم، موضحاً ذلك في قوله:

أَعـددتُ لـلـحَـدَثـانِ
سـابـغـةً وَعَـدَّاءً عَـلَـنْـدى
نَـهْـداً وذا شُـطَـبٍ يَـقُـدُّ
الـبَـيـضَ والأبْـدانَ قَـدَّا

هذه الأبيات نموذج متفرّد في إبراز مظاهر الشجاعة والفخر بأسلوب شعري أصيل يعكس قيم العربي التي نشأ وتربى عليها، فيبدأ الشاعر بالإعلان عن استعداده الكامل لمواجهة الصعاب، مصوراً ذلك باستحضار أدوات الحرب التي أعدّها بعناية، وقد أعدّ دروعاً محكمة وسيفاً قاطعاً (ذا شُطَب)، وتصويره للعدة القتالية التي تعكس شجاعته وبراعته في الحرب، كما أن الفعل «أَعْدَدْتُ» يعبّر عن وعي وإدراك مسبقين للمخاطر، ما يُضفي على الشجاعة بعداً استباقياً.

لينتقل إلى تأكيد إدراكه لحجم التحدّي الذي يواجهه، فخصومه ليسوا بالشيء الهيّن؛ إنهم «كَعْباً ونَهْدا»، أسماء تحمل دلالات على قوتهم وبأسهم، لكن الشاعر، بدلاً من أن يتراجع أو يظهر خوفه، يثبت في موقفه، ما يعكس إصراره وشجاعته الذهنية التي لا تقل عن شجاعته البدنية، حيث يقول:

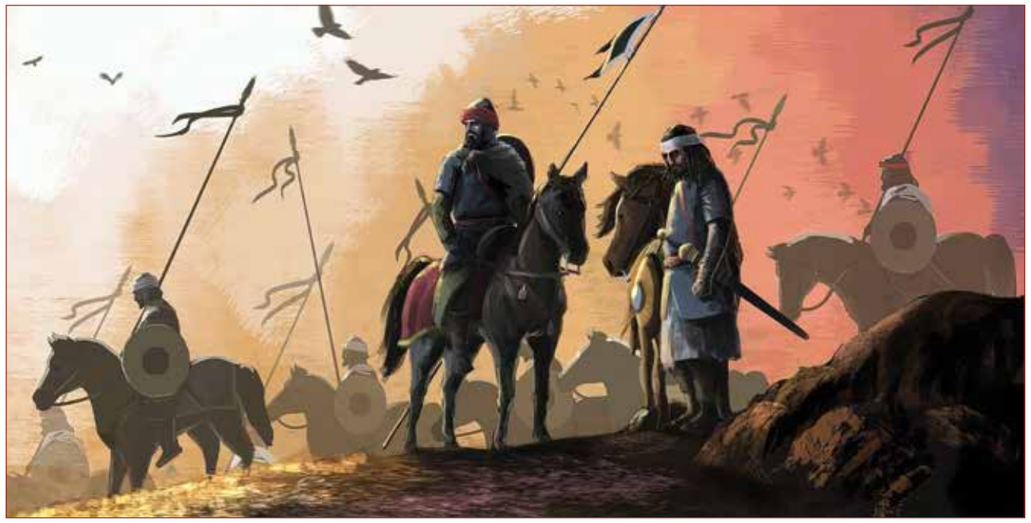

وعَـلِـمْـتُ أنّـي يَـوْمَ ذاكَ
مُـنـازِلٌ كَـعْـبـاً ونَـهْـدا
قَـوْمٌ إذا لَـبِـسُـوا الحَديدَ
تَـنَـمَّـرُوا حَـلَـقـا وقِـدّا
كُـلُّ امْـرئٍ يَـجْـري إلى
يَـوْمَ الـهِـيـاجِ بِـمـا اسْـتَـعَـدَّا

أحكم الشاعر المزج بين الإدراك العقلي للقوة، والإصرار على المواجهة، ليبرز الفخر بالشجاعة قيمةً متكاملةً، فاستحضر صورة حية نابضة بالحياة في وصف قومه، مشبّهاً إياهم بالنمور، حين يرتدون دروعهم الحديدية، وهذا التشبيه لا يقتصر على إظهار القوة، بل يضفي على المشهد بعداً أسطورياً، حيث تصبح الشجاعة جزءاً من هُويّة القوم وطبيعتهم، وقيمة إنسانية واعية تضيف إلى بعدها الحماسي بُعداً عقلياً يعبّر عن الفهم العميق لروح القتال والكرامة.

ثم ينتقل إلى الحديث عن فقدان الأحبّة من إخوته الصالحين، عاكساً لصورة حزينة وواقعية لفقدان الرفاق في معترك الحياة، ورغم مرارة الفقد، لا يظهر الشاعر جزعاً أو هلعاً، بل يتحلّى بالجلد والصبر، موضحاً ذلك في قوله:

كَـمْ مِـنْ أخٍ لِـيَ صالِـحٍ
بَـوَّأْتُـهُ بِـيَـدَيَّ لَـحْـدا
مـا إن جَزِعـتُ ولا هَلِعـتُ
ولا يَـرُدُّ بُـكـايَ زَنْـدا
أَلْـبَـسْـتُـهُ أَثْـوابَـهُ
وخُـلِـقْـتُ يَـوْمَ خُـلِـقْـتُ جَـلْـدا

يجسّد الشاعر القيم العربية الأصيلة التي تضع الكرامة والقوة فوق كل حسبان، فموت إخوته لم يضعفه، بل زاده قوة وإصراراً على الانتصار، وهذا التناقض بين الحزن على الأحبّة والتمسّك بالقوة يجعل الأبيات تفيض بالإنسانية والعظمة في آنٍ. ويُبرز،كذلك، صورة رمزية حين يقول إنه «أَلْبَسْتُهُم أثوابَهم»، فهو تعبير مشحون بالعاطفة، مصور واقعية الموقف بلمسة شعرية تجمع بين الحزن والوفاء.

ويوضح أن يوم مولده قد صاغه بطبيعة مغايرة، حيث جعله جلداً وصبوراً أمام المحن، ما يُظهر قوّة التحمّل التي أصبحت جزءاً من ذاته، ثم يتأمل حياته فيجد نفسه يغنّي غناء الراحلين،

يجسّد القيم العربيّة التي تضع الكرامة والقوّة فوق كل حُسبان

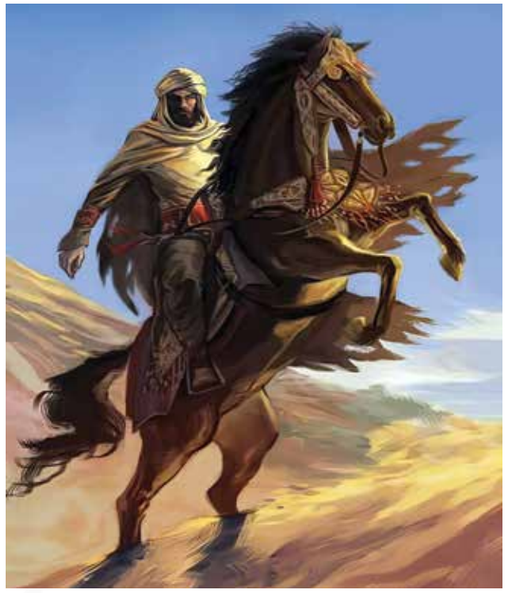

حيث يعدّ نفسه للأعداء كما كان يفعل أسلافه؛ هذا التكرار لإرث الصمود في وجه التحديات يربط الشاعر بماضيه، حيث يقول:

أُغْـنـي غَـنـاءَ الـذّاهِـبِـيـنَ
أَعَـدُّ لِـلأَعْـداءِ عَـدَّا
ذَهَـبَ الـذيـن أُحِـبُّـهُـمْ
وبَـقـيـتُ مِـثْـلَ السَّـيْـفِ فَـرْدا

يعكس الشاعر الفخر بالانتماء إلى أمةٍ عرفت كيف تواجه التحديات بشجاعة لا تلين، وأبدع في رسم صورة شديدة البلاغة حين يشبّه نفسه بالسيف الذي بقي وحيداً بعد رحيل من يحب، وهذه الصورة تجسد العزلة النبيلة التي يتّسم بها الشجعان الذين رغم فقدانهم للآخرين يظلون صامدين وقادرين على أداء أدوارهم.

لقد حملت القصيدة معاني إنسانية خالدة، كالاستعداد للتحدّي، وقوة التحمل، والارتباط بقيم الفروسية والشجاعة التي تشكل جوهر الثقافة العربية، فكل هذه المظاهر، فضلاً عن الإيقاع الداخلي تجعل منها نموذجاً خالداً في الشعر العربي، حيث تمتزج فيها العاطفة الإنسانية بالفخر القومي في تناغم شعري بديع.

وتبقى عيون الشعر العربي شاهدة على عبقرية الإنسان العربيّ، وقدرته على تشكيل نصوص خالدة تُلهم العالم بجمالها وحكمتها. إنها إرث لا ينضب، ينبض بالحياة كلّما أمعنّا النظر فيه، ويثبت أن الشعر العربي كان، وسيظل، أحد أعظم مظاهر الإبداع الإنساني.

مشهد آخر

منتظر الموسوي
عُمان

أخطأتُ .. مُذ غضَبُ الطوفان مَرَّ هُنَا
لمّا رَكضتُ -شَقِيّاً- أتبَعُ السُّفُنَا
حَتى وَصَلتُ .. وكان الفُلكُ مُمتلئاً
فرحْتُ أبحَثُ عن مَأوى هُنَا .. وهُنَا
وَسْط ازدحَامٍ خُرَافيٍّ .. أسيرُ .. مَعي
حَقيبَتي .. وغُرابٌ كي يُعَلِّمَنا
أسيرُ ما سارَ ظِلِّي .. لا أفارقهُ
كي لا أسَابقَ في خطواتيَ الزَّمَنا
أسيرُ .. كالغيم مَنفيّاً وتتبَعُني
ريحٌ .. تخيطُ مِن الأوجَاع لي بَدَنا
أسيرُ .. والمَوتُ خلفي والحَياةُ مَعي
لا أعرفُ المَوتَ .. لكن أعرفُ الكفَنا
الرُّوحُ تزرعُ فيَّ الضوءَ .. تمنحُني
قدَاسَةً .. ثمَّ تجلو عنّيَ المِحَنا
وكنتُ أذكرُ أني قدْ حَمَلتُ بقلبي
مَوطناً.. يُشبهُ الأحلامَ .. يُشبِهُنا
وَضعتهُ في ندَى رُوحي .. أشاطرُهُ
ضوءَ الحَياةِ .. إذا مَنا الظلامُ دَنا

فصرتُ أبحثُ .. في كلِّ الجهَاتِ عن
الأرض التي مَنحَتنا رُوحَهَا سَكنا
لكنني لمْ أجدْ في الفُلك مِن وَطنٍ
بالرَّغم مِن أنني لمْ أترك الوَطنَا
إلى مَتى نَتبعُ الأمْواتَ يا حُلُمي
دَعْنا نُفتِّشُ عَن مَوتٍ يُناسِبُنا
دَعْنا نُعيدُ تفاصِيلَ الرَّحيلِ مَعاً
هَذا الرَّحيلُ لنا .. والغيبُ ليسَ لنا
مَوجٌ جبَالٌ .. وأشلاءٌ مُبَعثرةٌ
تريدُ أن تسْرقَ الإنسَانَ مِن يَدِنا
وأصبَحَ الكونُ فرداً .. وارتقى جبَلاً
فما الذي سَوفَ -هَذا اليوم- يَعصمُنا
أقولُ هَيّا مَعي .. لا شيءَ يَسمَعُني
تعَالَ يا صَاحبي واركبْ هُنا مَعَنا
لا شيءَ يَسمعُني إلا صَدَى قلقي
لا شيءَ يمنحُنا ورداً ليُلهِمَنا
وكادَ أن يَغرَقَ الفُلكُ العَظيمُ .. لذا
ألقيتُ نفسِيَ في الطوفان .. فاتَّزنا

حارتنا القديمة

مطلق الحبردي
السعودية

في «حارةٍ» كُنّا نَعيشُ بها صِغاراً ... حَيْثُ هاتيكَ البَساطةُ طابَعُ
حَيْثُ النُّفوسُ تجيءُ وهي سَعيدةٌ ... ويَزُفُّها فَجْرُ البَياضِ السّاطِعُ
لا شَيْءَ تَلْقَى غَيْرَ حَشْدٍ بَشاشةٍ ... تَطْفو، وسَيْلَ مَحبّةٍ يَتَدافَعُ
قَسَماتُهمْ كالرَّوْضِ حينَ تُنيرُهُ ... شَمْسٌ، فَلَمْ يَعْبثْ بِهِنَّ مَطامِعُ
الكُلُّ نَحْوَ اللهِ وَجّهَ رَحْلَهُ ... ما حَرَّكَتْهُمْ في الظَّلامِ دَوافِعُ
وعلى افْتِقارِهِمُ سَمَوْا في رِفْعَةٍ ... ليس اخْتِلافٌ واحْتِرابٌ فاقِعُ
كانوا قَليلي الزّادِ، لَمْ يُعرَفْ لَهُمْ ... نَهَمٌ، ولَمْ يُحْرَمْ لَدَيْهِمْ جائِعُ
كانَتْ خَصاصَتُهمْ تُوَحِّدُ أمْرَهمْ ... والمُتْخَمون تَفَرُّقٌ وتَنازُعُ
أعراسُهُمْ كانَتْ قَبائلَ بَهْجَةٍ ... حتّى وإنْ حازَ الطَّعامَ تَواضُعُ
كانوا إذا غَنَّوْا يُدَوْزِنُ لَحْنَهم ... وتَرٌ يَشُدُّ قُلوبَهمْ فَتُطاوِعُ
وإذا بَكى قَلْبٌ لَدَيْهِمْ سارَعوا ... ليُضَمِّدوهُ، وكَيْ تَهونَ مَواجِعُ
جَرُّوا على مَضَضِ الحَياةِ ذُيُولَهمْ ... فتَجَمَّلوا، لَمْ يَبْدُ مِنْهم جازِعُ
وأبِي «لِخُطَّارٍ» يُمَوْسِقُ مَجْلِساً ... مِنْ فَرْطِ ما يَغْشاهُ وَفْدٌ رائعُ
كانوا.. وكانوا.. غَيْرَ أنَّ حَفيفَ ... ذِكراهُمْ يُهُبُّ به النّسيمُ الوادِعُ
تلك النُّفوسُ مَضَتْ بكُلِّ جَمالِها ... لم يَبْقَ إلّا حَسْرةٌ ومَدامِعُ
وبَقِيَّةٌ مِنْ طَيِّبينَ.. وصَفْحَةٌ ... يأسَى عَليْها وَضْعُنا المُتَراجِعُ

معجم لفظي للعالم

محمد جميل
العراق

مَرَّ الكلامُ فَلَمْ يعْبَأْ بهِ فَمُهُ ... ومَرَّ مِن لَيلِهِ المَجْنونِ مُعظَمُهُ
ولَمْ يَجدْ لُغةً تَكْفي وَساوِسَهُ ... إلّا التي كانَ يَبْنِيها فَتَهدِمُهُ
فَمُنذُ ناءتْ بِمَعناها قَصيدَتُهُ ... وضاقَ ذَرْعاً بِما يَعنيهِ مُعجَمُهُ
ما قالَ بَيْتَينِ إلّا ظَلَّ مُرتبِكاً ... ولَمْ يُصدِّقْهُ في ما يدَّعي دَمُهُ
على غِرارِ الأمانيِّ التي ذبُلَتْ ... مِن قَبلُ تَذبُلُ خَلفَ الغَيْمِ أنجُمُهُ
فأغلَقَ البابَ والشُّبّاكَ مُكتفِياً ... بِوَرْدَةٍ عَن سَجاياها تُكلِّمُهُ
أو عَنْ قَرابينَ مِن وَرْدٍ يُقدِّمُها ... مَنْ يَزعُمُ العِشْقَ أو مَنْ لَيسَ يَزْعُمُهُ
ولَحْظَةً ظَنَّ أنَّ الأرضَ آيِلَةٌ ... إلى السُّكونِ وأنَّ الرِّيحَ تَرْجمُهُ
وهكذا حَلَّ لَيْلٌ غامِضٌ ومَضى ... والشاعِرُ الحُرُّ لمْ تَهْدأْ جَهنَّمُهُ
وزادَها لَهَباً أنْ لَمْ يكُنْ أحَدٌ ... سِواهُ في العالَمِ الأرضِيِّ يَفهَمُهُ
كأنَّما هُوَ سِرٌّ ضُمَّ في جَسَدٍ ... كالبِئرِ يَفْضَحُهُ حِيناً ويَكتمُهُ
وكُلَّما أرْسَلَ العُشّاقُ وارِدَهُم ... يَعوقُهُ شَوْكُها والرَّمْلُ يَهْزِمُهُ
ولَمْ تزَلْ في خَيالِ الشاعِرِ امْرَأةٌ ... يُحِبُّها وهْيَ عَن حُبٍّ تُحطِّمُهُ
وذاتَ حُزْنٍ تَمَشّى في مُصادَفَةٍ ... حُسْنى إلى حَيثُ شَهدُ اللفْظِ عَلقَمُهُ
ولمْ تَسَعْ حُلْمَهُ الدُّنيا فَفاجأَها ... بِعالَمٍ كانَ يَفْنى حِينَ يَرسمُهُ
وظلَّ يَرْقى إلى أقصاهُ في حَذَرٍ ... وصَوْتُ فاتنَةٍ سَمْراءَ سُلَّمُهُ

على أعتاب أمي

أحمد الحطّاب
فلسطين

على كَتِفَيْكِ تَغْفو الأُمْنِيـاتُ ... وتُبْحِرُ فِي مَعانِيكِ اللُّغاتُ
ويُزْهِرُ بِاسْمِكِ الضَّوْئِيِّ قَلْبِي ... لِكَي تَتَنَفَّسَ الحُبَّ الرِّئاتُ
تُفَسِّرُكِ العِجافُ السَّبْعُ ماءً ... فَتَحْتَ خُطاكِ تَنْمُو السُّنْبُلاتُ
أَنا يا شَمْعَتي قَدْ ذُبْتُ شِعْراً ... فَنِيرانُ الحَنِينِ مُوَشَّحاتُ
أَحِنُّ إِلَيْكِ جِدّاً فاغْفِري لِي ... بِحارَ الدَّمْعِ... ضاقَتْ بِي الحَياةُ
قَدِ اشْتَعَلَتْ حُقُولُ الرُّوحِ شَيْباً ... وفاضَتْ عَنْ دِمائِي الذِّكْرياتُ
وأَسْرَجَتِ الرِّياحُ دَمِي... عَساها ... إِلى عَيْنَيْكِ تَحْمِلُنِي الجِهاتُ
كَتَبْتُكِ فِي مَهَبِّ الشَّوْقِ حَتَّى ... تَعِبْتُ ... ولَمْ تَسَعْكِ المُفْرَداتُ
قَصائِدِيَ التِي اقْتَبَسَتْكِ عُمْراً ... على صَدْرِ السَّماءِ مُعلَّقاتُ
بِلادِي أَنْتِ قَبْلُ وبَعْدُ... حَتَّى ... يُبَلْسِمَ غُرْبَةَ الرُّوحِ المَماتُ
أَفِرُّ إِلَيْكِ مِنِّي، مِنْ ظَلامِي ... فَدونَكِ، مَنْ أَنا.. كَيْفَ النَّجاةُ
وأَسْمَعُ صَوْتَكِ المَنْقوشَ فِي ... لَوْحَةِ الإِيمانِ: يا وَلَدي الصَّلاةُ
أَنا مازِلْتُ يا أُمِّي ابْنَ حُزْنِي ... فَمُنْذُ رَحَلْتِ والدُّنْيا شَتاتُ
عَبَرْتُ بِبَرْزَخِ الدُّنْيا يَتِيماً ... ورُغْمَ الحُزْنِ حَرَّفَنِي الرُّواةُ
وأَمَّا أَنْتِ والتَّارِيخُ شَكٌّ ... حَدِيثٌ ظَلَّ يَرْوِيهِ الثِّقاةُ

ورد لحارسة المعنى

زكريا مصطفى
السودان

بالصَّوْت لا بالصَّدى يُستَفْتحُ المَعْنى ... عن فِكْرةٍ هَيّأتْ في قَلْبِها سُكْنى
عن بَسْمةٍ في لقاءِ النّاسِ تَسبِقُها ... وبالنَّدى سَبَقتْها كَفُّها اليُمْنى
عَنْها تُطِلُّ على الشُّطآن فاتِنَةً ... تَتْلو المَعارفَ والآدابَ والفَنّا
لَها وقَدْ لَخّص التّاريخَ حاضِرُها ... في لَوْحةٍ تُلهمُ الفُرْشاةَ واللّوْنا
لِمَنْ تَعهّدَ بالسُّقْيا فَسائلَها ... وقالَ إنّ على الإنْسان أنْ يُبْنى
هناك وهْي تُعيدُ الضّوْءَ سِيرتَه ... وتَسْتَردُّ لأطْيارِ الرُّؤى الغُصْنا
لَوِّحْ لِشارقةِ الدُّنْيا ستُسفرُ عن ... وَجْهِ المَدينةِ قابَ الحُلْمِ أو أدْنى
هي الحَقيقَةُ تَسْتَلقي على لُغَةٍ ... مِنَ المَجازات حتّى فاقَتِ الظّنّا
بِها النَّخيلُ الذي في ظلِّه سَعَةٌ ... ومِنْ عَراجينِهِ تَمْرُ الرِّضا يُجْنى
البَحْرُ خَبّأ فيها سِرَّ لؤلؤِه ... والرَّمْلُ جَفّفَ عَنْ أثْوابِها الحُزْنا
أَنْصِتْ لإيقاعِها بالقَلْبِ تَكْشفُ عَنْ ... نَصٍّ يُطابقُ فيه الهامِشُ المَتْنا
واقْدَحْ شُجونَكَ لِلْقَصْباءِ عاطِفةٌ ... هي الحَضارةُ بَزّتْ نَفْسَها حُسْنا
حَديقةٌ أَزْهَرَتْ حُبّاً ومَعْرِفةً ... وأَشْرَعَتْ لِرَبيعِ الحِكْمَةِ الحِضْنا
فاتْرُكْ قَصيدَةَ حُبٍّ عِنْدَ مَدْخلِها ... من أيِّ بَحْرٍ وخُذْ مِن نَبْضِكَ الوَزْنا

الشعر يبعث فينا الحياة

القصيدة بذرة غارسها، تسكن الفكر حينًا، وتبذل جهدًا عظيمًا لتبعد عنها العوائق، تخرج من رحم الطين والرمل والماء، كي تستقرَّ على الأرض، ثم تعاركَ بالصبر جيشَ الرياح وحرَّ الهجير، وتخرجَ للنور مخضرّة في الصباح، فللنّاس آخرُ ما أخرجته المشاعر، يعرضها شاعرٌ في منصّة شعرٍ، وينشرها في الوسائل مكتوبة، أو مسجّلة، أو مصوّرة، فتصيب المشاهدَ هزّةُ وجدٍ شديدٍ؛ وقد يتساءلُ: من أين جاء بهذي الحروف؟ وكيف استطاع اصطياد مشاعرنا بالكلام؟ وقد يتساءلُ آخرُ: هل أستطيعُ الوصول إلى مثل هذا الجمال؟ وهل كل من ملك الحرف، أو عرف الوزن، يمكن أن يكتب الشعرَ أو يصنع الأغنياتْ؟

يدور كثيرٌ من القول عن سرّ هذي القصائد، بين السهولة في نظمها، والصعوبة في وصلها، أو كتابة أبياتها في الحياة وبين السطور؛ وقد قيل: ميلادُ بيتٍ من الشعر أصعبُ من خلع ضرسٍ، فما سرّ هذا الذي خلّدته السنين، ومازال يحضره الناس في الأمسيات، وفي الأغنيات، وفي أي ظرفٍ تجيء القصيدة حاملة في ثنايا الجمال شهادة ميلاد فاتنة الحرف، وابنة من خطّها بالمشاعر حتى يقال له: حفظ الله هذي الوليدة من كل سوء؟

نعم.. هي طيّعةٌ للذي خصّه الله بالشعر، لكنه لا يصادفها في الممرّات ترقب شاعرها كلّ حين، ولا تتوقف عند الإشارات كي تأخذ الإذن من ضوئها، لتسير بنبض الذي قادها للعلوّ إلى لهفة المتعبين، وليست رسالة جوالَ، حتى تغادر صوت الذي قالها، أو أصابعه، وتطير إلى عين من أشعرته الهواتف عنها بأضواء شاشته أو رنين.

لذلك من حقّ هذي القصائدِ أن تستقرّ على الروح، تُمنح قدرًا من الوصل، فهي تجيء معلّقة في زوايا التأمل، تسكن في نبض شاعرها، تتغذّى على طيّبات العلوم، وتصهر في مصنع الفكر والتجربة، فليست وليدة لحظتها، إنّما هي رؤيا تعيش مع الحرف في رحم الوقت، ثم إذا ما استوت، خرجت للحياة، ومن حقها أن تعيش مع المغرمين بدهشتها كلّ حين؛ فما خلقت هذه الكلمات لترمى على أرفف المكتبات، وما وجد الشعر إلّا ليبعث فينا الحياة.

حديث الشعر

محمد عبدالله البريكي

إصدارات

دائرة الثقافة | الشارقة

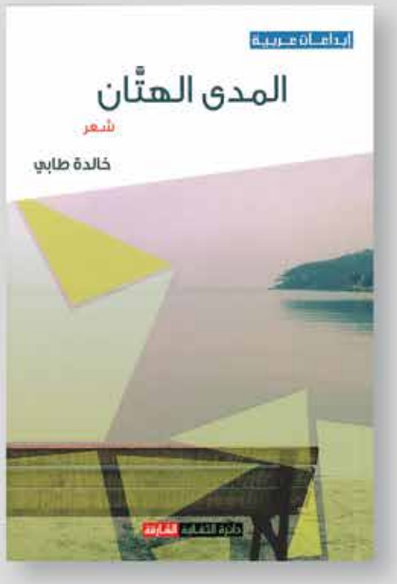

ص.ب: 5119 الشارقة - الإمارات العربية المتحدة | الهاتف: 5123333 6 971+ | البرّاق: 5123303 6 971+
البريد الإلكتروني: sdc@sdc.gov.ae | الموقع الإلكتروني: www.sdc.gov.ae | sharjahculture

التوزيع الهاتف: 5123309 6 971+ | البريد الإلكتروني: publishing@sdc.gov.ae

القوافي

www.sdc.gov.ae

6 291100 753918